التكوين للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق الحلبوني هاتف ٢٢٣٦٤٦٨

علماء الغرب ومفكروه

ما الذي وجدوه في الإسلام والقرآن ؟

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ
هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [سبأ : ٦]

تقديم
للباحث الأستاذ
محمد نبيل الخياط

إعداد وتأليف
الباحث في معجزة القرآن
أحمد عزت شيخ البساتنة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ . [سورة الأنعام ـ الآية : ١٩]

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ . [سورة النحل ـ الآية : ٨٩]

المؤلّف

٤٤٥٤٥٤٤ - ٩٣٤٥٤٧٤٢

تقديم

للباحث الأستاذ محمد نبيل الخياط

﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾

ربنا الكريم في خلقه، والكريم في رزقه يكون أكرم ما يكون مع من يقرأ، هذا ما يمكن فهمه من تكرار أول كلمة وأول أمر إلهي في القرآن، ألا وهو الأمر بالقراءة. بل يمكن اعتبار ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ كلمة سر مقاصد القرآن، حيث القراءة علم ورحمة، بهما خلق الله عز وجل كل خلقه. ولذلك ليس من العجيب ولا الغريب أن تتجلى رحمته تعالى في أسمى تجلياتها وفي أعلى درجات كرمه تعالى مع خلقه حين يشرعون ويشتغلون ويستغرقون في القراءة.

لماذا جاءت الواو في ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾[1] لتعني المعية والتزامن بين كرم الرب وقراءة العبد؟ لأن القراءة هي طريق العلم وأداته ووسيلته. هي العلم في أولها، وهي العلم في وسطها، وهي العلم في آخرها. إنها التسبيح في كل وقت ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾[2] وهي الذكر قياماً وقعوداً وعلى الجنوب عند أولي الألباب ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ وهي التفكر في خلق السمٰوات والأرض ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[3].

والقراءة مثل المطر في نعمتها، فإذا كان للمطر مواسمه فالعمر كله مواسم للقراءة. وإذا كان الربيع موسم أزهار المطر والصيف موسم جنى ثماره اليانعة فإن الشباب خاصة ومن بعده الكهولة بالتواصل موسمان لتحصيل العلم ثم تأتي بعدهما مرحلة يؤتي فيها الله عبده رشده، ليمن عليه معها وعلى الدوام، ما دام قلبه حياً

---

(١) سورة العلق ـ الآية: ٣.

(٢) سورة الروم ـ الآية: ١٧ ـ ١٨.

(٣) سورة آل عمران ـ الآية: ١٩١.

وبصيرته وأذنه واعية، بأن يؤتيه ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[1]. هذا هو حال العلم مثل المطر، وهذا هو حال المطر مثل العلم. ففعل أنزل ونزل في القرآن توصل إلى الخلاصة التالية: فمثلما يذكّر الله عباده بنعمة إنزال المطر يذكّرهم بنعمة تنزيله للوحي.

إنما قدمت بهذه المقدمة لأنني وجدتها خير هدية أتقدم بها إلى الباحث الشاب أحمد شيخ البساتنة الذي قدم لنا هذا الديوان من الشهادات التي أدلى بها عدد من علماء الغرب المرموقين حول حقائق الوجود التي لا بد من ردها إلى موجدها واجب الوجود أو حول حقائق الإسلام وإعجاز كتابه العزيز المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

لقد فاجأنا الباحث بتلك الأسئلة والأجوبة التي عثر عليها في تجربة إيمانية تتسم بالبحث عن البراهين والوقوف على البينات حتى يكون إيمان من يؤمن على علم وبصيرة وحجة قد ترتقي إلى السلطان الذي يبهر فلا يدع مجالا لوساوس الشيطان. نحن بحاجة إلى هذا النوع من الإيمان الذي تتوافق زيادة العمر فيه مع زيادته فيكبر اليقين مع توالي السنين: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[2].

يقول الكاتب الذي بنى إيمانه على نهج البراهين هذا منذ حوالي عشرين سنة وعكف لأكثر من سبع سنين على جمع هذه الشهادات التي تنبئ عن طبيعة البينات التي استبان بها طريق الإيمان: «لقد أصبح هذا الكتاب طريق حياتي». وعليه فخير ما يمكن أن نصف به هذا الكتاب هو أنه ديوان أو مفكرة إيمان الباحث أحمد.

فكما يكتب الكثيرون مذكراتهم ملخصين مسيرة حياتهم وكما يطبع آخرون مشاعرهم وأفكارهم من خلال دواوين شعرهم فإن الكاتب يرتب لنا في ثلاثة فصول ومقدمة وتمهيد وخاتمة ديواناً من الشهادات العديدة التي أخذ الكثير منها حظه من الاهتمام المحلي والعالمي في وقته.

وربما وجد غير المختصين عامة والشباب غير المطلع خاصة قدراً من الإثارة في شهادات صادرة عن شخصيات سياسية كانوا ممن ﴿نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾[3] حين

---

(١) سورة يوسف ـ الآية: ٢٢.

(٢) سورة محمد ـ الآية: ١٧.

(٣) سورة الأنبياء ـ الآية: ٦٥.

كانوا في مناصبهم لأن وجودهم فيها كان يملي عليهم ضرورة معاداة العرب والمسلمين، ولكن حين «رجعوا إلى أنفسهم» بعد مغادرتهم مناصبهم أقروا بما لم يكن بإمكانهم إقراره وهم على كرسي المنصب.

وسيلاحظ القارئ بأن جامع هذا الديوان مقل في كلامه فكأنه يريد أن يقول «دونكم هذه الشهادات فتدارسوها على طريقتكم كما درستها أنا على طريقتي، فإن لكل طريقه الخاصة إلى اليقين يسلكها على قدره هو، وعلى قدر القناعات التي أمكنه حملها في فراره إلى الله ومسارعته إلى الخيرات». ومع ذلك يمكن للقارئ أن يشعر بأن روحا واحدة تضيء مفردات هذه الشهادات حتى لتكاد أن تكون من ترجمان واحد رغم تنوع الموضوعات والعلوم التي استند إليها أصحابها.

في آخر آية من سورة الرعد وحسب تسلسل جملها الذي يبرز طبيعة المنطق الحيوي القرآني، والتي تعتبر منهجاً في هذا المقام.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ،
قُلۡ: كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ،
وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[1].

ففي بداية الآية يورد القرآن قول الكافرين وهم يخاطبون رسول الله منكرين كونه مرسلاً في جملة نفي: لست مرسلاً.

ثم يأتي الجواب بمنتهى البساطة والقوة: قل كفى، بمعنى أن الله تعالى يأمره أن يقول لا تهمني شهادتكم هذه لأنني تكفيني شهادة الله تعالى التي تحسم الجدال بيني وبينكم في هذه المسألة، فشهادة الله هي الشهادة حقاً وواقعاً. ماذا يعني هذا؟ يعني بكل بساطة أن التاريخ الذي تمثل أحداثه شهادة الله المؤكدة كل يوم لصدق أو كذب كل من يدعي بشيء هي التي تدل على صدق قولي أو قولكم.

وهذا هو الذي حصل، فقد صدق الله ورسوله وبقيت كلمات القرآن باقية بينما لم يبق من مشركي مكة إلا ما يورده لنا القرآن من إنكارهم وجحودهم. لقد مضى مثلهم كما مضى مثل الأولين من قبلهم ممن عارضوا رسالة الأنبياء.

---

(١) سورة الرعد ـ الآية: ٤٣.

والإسلام اليوم، وعلى الرغم من جهل وضعف وتفرق أتباعه هو الدين الوحيد الذي يتوسع حقيقة من حيث انتشاره ونسبة زيادة عدد سكانه. ودون الدخول في تفاصيل كثيرة ليست هذه العجالة مكانها، يمكن القول بأن المسلمين هم الذين يزدادون وسيظلون يزدادون على المدى المتوسط والبعيد، والإسلام السلمي يزداد انتشاراً في جميع القارات رغم ضعف المسلمين وتشرذمهم.

يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(1).

ففي هذه الآية شهادة ظاهرة الوحي التي طبعت تاريخ الحضارة البشرية والمتمثلة في تنزيل الكتب على الرسل الذين جاءوا برسالة واحدة، ولذلك كان الرسول محمد ﷺ تصديقاً لهذه الظاهرة الكبرى وختاماً لها.

وضمن سياق هذه الآية والآية السابقة وآيات أخرى في القرآن نفهم مشروعية الاستشهاد بكل شهادة علمية تؤكد رسالة محمد ﷺ وصدق القرآن الذي جاء به من عند ربه. والاستشهاد بالذين أوتوا العلم ومن عنده علم الكتاب بما يمكن توسيع مقاصده بحيث تندرج تحته جميع الشهادات العلمية التي يرى أصحابها عن علم وعن اختصاص أنها من الإعجاز العلمي في القرآن.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن القرآن لا يحتاج لبينات من خارجه تدل على أنه الحق من رب العالمين. شهادته تتأتى من كلماته نفسها حيث كلها إعجاز. وبما أن القرآن كلام الله وقوله وحديثه وبلاغه وبيانه ورسالته ونبأه العظيم فإن واقع صدقه يتأتى من كل هذا القرآن، مقاصده وأحكامه ومنهجه وطريقته في الفكر والجدل وقصصه الذي هو أحسن القصص وأمثاله التي هي خير الأمثال ووصفه لمشاهد الكون ومشاهد القيامة وحكمه وكل حروفه وكل صروفه وكل مبانيه وكل معانيه وكل بدايات آياته وكل خواتيمها.

وكم نحن بحاجة إلى علماء منا يتدبرون هذا القرآن وينظرون في الأكوان

---

(1) سورة الأحقاف ـ الآية: ٩ ـ ١٠.

فيكتشفون في الأول مقاصده وفي الثانية نواميسها، يعرضون ما هو مبثوث في الأكوان على ما هو ممكنون في القرآن فيفسرون القرآن تفسير مقاصد ونواميس يقوم فهمها وعلمها على روح قوانين هذا الكون فيكثر لدينا من عندهم علم الكتاب سواء كان هذا المنشور أي الكون أو ذلك المسطور أي القرآن، فنبلغ من العلم أكثره يقينا وإحاطة بعد معاينة ومعاناة فنكون ممن ألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها في العلم والعمل والقول والفعل والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

هنيئاً للباحث أحمد عمله هذا مع الدعاء إلى الله بأن يجعله ممن يثبتهم الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويمتحن قلوبهم للتقوى ويكتب الإيمان في قلوبهم ويشرح صدورهم للإسلام ويعلمهم ما يشاء ويؤتيهم الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

الأحد في ٢١ صفر ١٤٢٥هـ

الموافق لـ ١١ نيسان ٢٠٠٤م

محمد نبيل الخياط

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الحمد لله الذي جعل لنا نوراً نمشي به وجعل لنا فرقاناً... ووهبنا من علمه الواسع ـ الذي أحاط بكل شيء ـ ما يجعلنا مناراً لكل الأمم فكراً وحضارةً وحياة.

لم تتضح عظمة الإسلام في زمنٍ ما كما اتضحت في زمن التقدم العلمي والتقني الذي نعيشه، حيث فتح الله ـ عز وجل ـ على الإنسان بالعديد من أبواب العلم والاكتشافات العلمية، وفُتِن الناس بعلماء الغرب وعَدوهم قمة الفكر والعلم، وبلغ من سلطان العلم أن أقاموا له دولاً باسمه، وعظم فوق كل شيء يخالفه.

.. في مطلع هذا القرن، وبعد معاناة وصراع داما قرنين من العمل والبحث والدراسة ـ بدءً من عصور نهضة أوروبا التي استهلها العالمان فرنسيس بيكون وغاليلو اللذان سيطرت عليهما النظرة المادية ـ انتهى أقطاب العلم والباحثون المعاصرون إلى نتائج في مجالات الفيزياء والكوزمولوجية وأبحاث الأعصاب وجراحة الدماغ وعلم النفس الإنساني، هدمت تلك النظرة المادية التي تنكر وجودَ الله ـ عز وجل ـ وتقوم على الاستخفاف بالقيم الأخلاقية والدينية والنفسية، وتفسير السلوك البشري، والعقل والإرادة بلغة الدوافع والغرائز والفيسيولوجيا.

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾(١).

ظهر لجماعة الماديين المتأخرين فساد ما تمسك به أسلافهم، فنبذوا آراءهم واتخذوا طريقاً جديداً... فقالوا، ليس من الممكن أن تكون المادة العارية عن الشعور مصدراً لهذا النظام المتقن والهيئة البديعة والأشكال العجيبة والصور الأنيقة وغير ذلك مما خفي سره وظهر أثره؛ إذ كيف أطلع كل جزء من أجزاء المادة مع انفصالها على مقاصد سائر الأجزاء، وأي برلمان أو مجلس شيوخ عقد للتشاور في

---

(١) سورة الذاريات ـ الآيات: ٥ ـ ٦.

إبداع هذه المكونات العالية التركيب البديعة التأليف فخرجت بهذا الاتزان والترابط؛ الانتخاب الطبيعي أيضاً (كما يقول الماديون) لا يمكن أن يكون أساساً، لأن الطبيعة إنما تؤثر في الموجود، وليس لها أن توجد المعدوم، فيمكنها أن تعمي العيون، ولكنها لا تستطيع أن توجد البصر... إذاً للكون إله قوي يحكمه ويسيطر على كل ما فيه. (وهذا ما سنتناوله في الفصل الأول).

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝١٦ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٧ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[1].

فكان العلم.. هو.. هو، الذي يخدم الإسلام والقرآن ويخدم الإيمان ويقدم الدليل تلو الدليل على أنه هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وهذا ما دفع الكثير من هؤلاء العلماء والفلاسفة ورجال السياسة والفكر في الغرب يُقبلون على الإسلام ليتعرفوا بعمق على ذلك الدين لما وجدوا فيه من تطابق مع كل ما خرجوا به في شتى مجالات العلوم والفكر والاقتصاد والفلسفة والمنطق، ولما وجدوا فيه من مساواة واحترام حقوق الجميع، وموائمةً لطبيعة البشر.

فمنهم من أسلم، وقام بإعداد كتب تتحدث عن الإسلام وعظمته، وأنه الحل لكل مشكلات العصر، ومنهم من قدم أبحاثاً عن الإعجاز العلمي في القرآن ومطابقة كل ما جاء فيه لأحدث المكتشفات العلمية والأثرية. ومنهم من تعرف على الإسلام والقرآن ولم يتجرأ على قول الحق واكتفى بأن يقول: «إن ما وجدناه من حقائق في الإسلام والقرآن ذكرت منذ ١٤٠٠ عام موافقةً للعلم الحديث ومكتشفاته في وقتنا هذا، شيء محير للعقل ولا نستطيع تفسيره».

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾[2].

وقد يسأل سائل... لماذا نهتم بما قاله علماء ومفكرو الغرب، فأقول: إن الحجة تكون أبلغ عندما يأتي الحق من بين من لا يؤمنون وظهر لهم هذا بعد ما خبروا وعلموا وجربوا كل شيء، واطلعوا على كل الحضارات، قديماً وحديثاً، ووصلوا إلى حقائق ونتائج وقناعاتٍ ثابتة وقطعية، غير مدفوعين بمصلحة ما أو عاطفة أثرت

---

(١) سورة الأنبياء ـ الآيات: ١٦ ـ ١٨.

(٢) سورة النساء ـ الآية: ١٦٦.

على حكمهم، فجاء موافقاً للحقيقة.

وليس معنى هذا أن المسلم بحاجة إلى إثبات أن الإسلام هو الدين الحق أو أن إيمانه وقف على ذلك، ولكن هذا يمثل عامل جذب ودعوة لغير المسلمين للإسلام ـ الدين الذي ارتضاه الله للناس ـ، وفي إغلاق أبواب الإلحاد عندهم وعند من يجاريهم من ناشئة الشرقيين ومستغربي الفكر والثقافة. بما حملوه من أفكار غربية قاصرة نقلوها من الذين اعتبروهم قمة الفكر والعلم وجعلوا أنفسهم أداة طيعة في أيدي أعداء الدين، ينفذون عن طريقهم كل ما يمليه عليهم حقدهم وكرههم ـ ليهون بعد ذلك الإسلام في نفوس هؤلاء الناشئة ـ متناسين ما ذكره المنصفون من علماء الغرب ومفكروه الذين نقلوا عن العرب المسلمين وتعلموا منهم كيف تكون حرية الفكر مع استقامة الدين.

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1].

سنريهم... أي سيصبح علم مشاهدة، علم يقينٍ، رأيَ العين (وهذا ما سنبينه للقارئ) فقد رتبت مواضيع الكتاب ـ بعد المقدمات ـ وفق عدة فصول هي:

الفصل الأول: آيات الله تتجلى في عصر العلم (هدم النظرية المادية).

الفصل الثاني: علماء الغرب ومفكروه.. ما الذي وجدوه في الإسلام (عامة).

الفصل الثالث: علماء الغرب ومفكروه.. ما الذي وجدوه في القرآن (خاصة).

نصيحتي أقدمها للقارئ: أن يبدأ بقراءة سريعة للكتاب كله وأهم العناوين، ثم يعود وينتقي من المواضيع كلٍ حسب اهتمامه.

---

(١) سورة فصلت ـ الآية: ٥٣.

بين يدي الكتاب

إذا ما تعمقنا في رسالة الإسلام، قرآناً وسنة، وكونها مرسلة إلى البشرية جمعاء حتى يوم القيامة، وأن الإعجاز والمعجزة المطلوبة منها موجودة ومتمثلة في الفهم العلمي لهذا الدين، على ضوء جميع النظريات والقوانين والمكتشفات العلمية المعاصرة، بل وما يزال مفتوحاً على المستقبل لكي يحتوي كل المستجدات العلمية على مستوى جميع العلوم، وفي كافة الاختصاصات العلمية والفلسفية والتشريعية والاقتصادية. . . الخ، فسنجد وبوضوح، أن هذا الدين القويم قد أُرسل للناس كافة قديماً وحديثاً، وإلى يوم الدين.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[1].

فمن معاني شمولية الرسالة الإسلامية للخلق كلهم، أن تكون هذه الرسالة هي خاتمة الرسالات، وبالتالي يجب أن تكون كاملة غير محتاجة إلى نبي آخر يُرسل ليستدرك على رسولنا الكريم ﷺ ما فاته، وحتى بعد وفاته عليه الصلاة والسلام تظل باقية إلى قيامة الساعة تبرهن على صدق رسالته، وتتحدى كمعجزة كل العصور والأزمان، وتشير إلى أن القرآن كأنه يتنزل اليوم مواكباً لطبيعة العصر، بل ومتجاوز لإمكانياته الحالية والمستقبلية[2].

وهكذا تتجلى حقيقة عالمية الإسلام وشمولية رسالته للناس أجمعين. . حقيقة قائمة على العلم، تدعو إلى معرفة كل العلوم والتعرف على كل الثقافات والحضارات، وتدعو إلى الحوار مع الآخر على أساس المنطق السليم والحجة والبرهان للوصول إلى الحق والحقيقة.

فكما جاء في القرآن الكريم في سياق المحاورة التي جرت بين موسى ـ عليه السلام ـ وفرعون مصر في ذلك الوقت ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ

---

(١) سورة سبأ ـ الآية: ٢٨.

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن «تأصيل فكري وتاريخ ومنهج»/ الأستاذ سامي الموصلي.

﴿شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1].

خطاب لكل البشر، ولكل سائل يسأل ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾. ويأتي الجواب بجملة قصيرة اختصرت نتاج العلم والفكر البشري منذ بدء الخليقة وحتى قيام الساعة. ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾... نحتاج إلى مجلدات لشرح هذه الجملة، ولكن وبكلمات مختصرة: كل ما في الكون من أحياء وجمادات هو: «مادة وروح»[2]... قانوناً كونياً إلهياً يشمل الوجود كله، حيث أن «وحدة الخلق، تدل على الخالق الواحد» وقول الحق كل شيء يؤكد ذلك.. حقيقة علمية قائمة، فهي حصيلة العلم الذي أراد الله أن يظهره للبشر ليعرفوا ربهم، بعدما بحثوا وعلموا وجربوا كل شيء. وبعد ثبوت فشل نظرية أن الكون مادة صرفه وطبيعة المادة هي التي ألفت هذا الكون وبعد ما أيقنوا أن المادة العارية من الشعور لا يمكنها أن تكون مصدراً لهذا النظام المتقن... وهل ينشأ العدم من العدم؟!

نرجع إلى الآية: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ أعطى المادة وحتى كل ذرة من ذرات هذا الكون خواصها وقوامها المادي.

﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾.. أودعها قانونها الإلهي الخاص المرتبط بالنظام العام الذي لا تستطيع أن تحيد عنه، فخرج هذا الكون بهذه الصورة من التكامل والتوافق والاتزان والجمال.

إنها القوى والقوانين (مادة وروح): الجزئيات الأساسية التي كونت هذا الكون هي ذرات لها خواصها وقوىٰ الجاذبية فيها، ثم تأخذ قوانين انضمام بعضها إلى بعض وسلوكها الذي تخضع له. (وهذا ما سيتبين للقارئ في الفصل الأول من الكتاب) ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[3]. وإليك بعض ما تدل عليه الآية ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

كل المخلوقات قد بدأت على هيئة مخلوقات متلائمة والأرض تمثل بيئة ثابتة

---

(١) سورة طه ـ الآيات: ٤٩ ـ ٥٠.

(٢) واحد من أبحاثي التي قمت بها بتوفيق الله عز وجل.

(٣) سورة سبأ ـ الآية: ٣.

لحياة الكائنات، والكل يشير إلى أن الأرض مهيئة على أحسن صورة للحياة. ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾(١).

ليس هناك من شيء مخلوق إلا وهو محتاج ومتعلق بشيء مخلوق مثله، ثم الكل محتاج إلى خالقه.

في علم وظائف الأعضاء: تدل أعين الإنسان على أسبقية الضوء، وتدل المعدة على أسبقية الطعام، كما تدل الحياة على أسبقية القانون الطبيعي اللازم لنشأتها، وأعمق الأفكار والعواطف في الإنسان تدل على أسبقية وجود عقل علوي يمنحه هداه، وهذا حسب قانون السببية الذي ينص على أن: «لا تأثير بغير مؤثر».

الإنسان.. «جسد وروح». جسد تألف من ذرات بسيطة ثم تأخذ كل ذرة من ذراته سلوكها وقانونها الخاص الممنوح لها من رب العالمين.

وبعد أن تتآلف تلك الذرات ويصبح الإنسان جزءاً من هذا الكون، يهديه الله إلى ما يجعله كاملاً متكاملاً مع هذا الكون ﴿ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ بما وضع له من قوانين وتشريعات ونظم تلائم طبيعته. (وهذا ما سيتكلم به علماء وفلاسفة الغرب في الفصل الثاني من الكتاب).

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(٢).

أي أن الكون تم خلقه قبل خلق الإنسان، فكيف يكون للإنسان عمل قبل أن يوجد الكون ويخلق؟ ونحن البشر قد جئنا إلى كون معد لنا إعداداً كاملاً، والله سبحانه بكمال صفاته وقدراته قد خلق هذا الكون وأوجده ونظمه غير مستعين بأحد من خلقه.

وإذا كان كل شيء في هذا الكون من خلق الله سبحانه، فإن قوانين الكون التي يسير عليها من وضع الله سبحانه، إلا ما شاء أن يجعل للإنسان فيه اختياراً.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(٣).

---

(١) سورة الحجر ـ الآية: ١٩.

(٢) سورة البقرة ـ الآية: ٣٠.

(٣) سورة الأحزاب ـ الآية: ٧٢.

الشمس مثلاً أقوى من قدرة البشر جميعاً ولكنها مسخرة له لا تستطيع أن تشرق يوماً وتغيب يوماً حسب هواها، وكذلك الهواء والمطر و......، فثبات قوانين الكون دليل على دقة الخالق وإبداعه وقدرته.

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[1].

وما نجده اليوم من بعض الفساد في الأرض، إلا بما خرج به الإنسان عن ما رسمه الله له، وقد أخبرنا عن ذلك عالم الغيب والشهادة، فقال: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[2].

الفساد قد يكون مادياً، وهو ما أصاب البيئة من التلوث نتيجة سوء استخدام مصادر الطاقة والثروة ومنه ما هو ناتج عن المركبات الكيميائية المصنعة، وأكثر ما يتجلى ذلك من نقص في طبقة الأوزون مما ألحق الأذى بالإنسان والمحاصيل الزراعية والأسماك، ومنها ما يكون بسبب الحروب والنزاعات واستخدام الأسلحة الفتاكة والنووية والجرثومية والكيميائية، ومنها ما يصيب الإنسان في نفسه وفكره وروحه، كالقلق والخوف والإدمان على المخدرات، وانتشار الأمراض الناجمة عن ارتكاب وممارسة الموبقات.

وفي النهاية لكل شيء هدف، ولكل عمر أجل ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[3].

وحال الأرض قبل قيام الساعة:

﴿ ... حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾[4].

يدل القول على وصول الإنسان إلىٰ القمة في الإمكان، وكذلك الأرض في العمارة والترف والزينة. حيث أن كمال الحال وتمامه يوحي للناس بالاطمئنان والركون، ويبعث على الطيغان والعظمة، ثم هو استنزفها.. استنفذ معادنها وثرواتها

---

(١) سورة يس ـ الآية: ٤٠.

(٢) سورة الروم ـ الآية: ٤١.

(٣) سورة القصص ـ الآية: ٨٨.

(٤) سورة يونس ـ الآية: ٢٤.

المدفونة، وتعبير ﴿أَنَّهُمْ قَادِرُونَ﴾ يدل على علم الله بسيطرة الإنسان على الأرض.

نعم إن الإنسان لقادر..، ولكن على تدمير في الأرض، ولكنه غير قادر على حمايتها حتى من زلزال أو إعصار أو فيضان أو نيزك صغير.

هذا التسلسل العلمي والمنطقي الخارق.. كما أوردناه في هذه العجالة وحسب ما جاء في القرآن الكريم.. هل يستطيع إنس أو جن أن يأتوا بمثله ولو اجتمعت له كل علوم الأرض متضافرة.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1].

والآن.. ألا ترى معي عزيز القارئ.. أن الزيادة في العلم لا بد أن تؤدي إلى الإيمان الكامل اليقيني بالله ـ عز وجل ـ؟

لم أطل في هذا التقديم إلا لتعلم عزيزي القارئ ما الذي عناه الفيلسوف غارودي حيث يقول: (والآن بدا لي الإسلام مثل حامل إجابات على أسئلة حياتي).

لنستمع وبلمحة سريعة لبعض العلماء ولبعض ما قالوه كمدخل، ويكون التفصيل داخل الكتاب إن شاء الله.

روجيه غارودي[2] الفيلسوف الفرنسي الذي كان رئيس اللجنة المركزية في الحزب الشيوعي الفرنسي يقول:

تشريعات الإسلام وقوانينه تلائم طبيعة الإنسان والحياة ملاءمة تامة، فضلاً على أنها تحوي من أسباب التقدم ومقوماته ما لا تحويه أي تشريعات أو قوانين أخرى.. فقد قدم القرآن دستوراً للحياة والعمل.

«وحدانية الله وتعاليمه»... تقتضي تساوي جميع البشر دون استثناء الأمر الذي جعل الإسلام دعوة لتحرير الشعوب المقهورة سياسياً واقتصادياً ودينياً.

---

(١) سورة الإسراء ـ الآية: ٨٨.

(٢) (نصف قرن من البحث عن الحقيقية) روجيه غارودي ـ إعداد الكاتب محمد عثمان الخشت. سنة ١٩٨٣.

الإسلام لم يفصل بين الحكمة والعلم، ولم يقبل معالجة أي فرع من فروع العلم بمعزل عن العقيدة... فكل ما في الطبيعة مظهر من مظاهر وجود الله ـ عز وجل ـ.

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾[1].

الفنان «دينيه»[2] المستشرق الفرنسي: برهن على تسامح الإسلام مع مخالفيه في الدين وأثبت ذلك بالوثائق والحقائق التاريخية الثابتة. وأن المسلمين ساهموا بعملهم في اندماج ميراث شتى الثقافات الكبرى.

الدكتور روبرت كرين[3] ... (مستشار الرئيسي الأمريكي نيكسون): الإسلام دين مفهوم وواضح، ويتمتع بتوازن جيد بين التوجيه الروحي والعملي والفكري.

الإسلام يشدد على نشر العدالة وتعزيزها، كما يشدد على الحاجة لتوجيه كل شيء في حياة الإنسان، وحتى الروحية بواسطة العقل والفكر.

قواعد الصراع الأولى لم تتغير، وهو عيب معظم مناهج السياسة الأمريكية، التي لا ترى في الآخرين إلا تهديداً يجب القضاء عليه. في حين أن كل تعاليم الإسلام تدعو إلى نبذ أي صراع وأي تصادم بين الحضارات.

﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ... ﴾[4].

أراد الله أن يكون الإسلام القوة العالمية البارزة، وليست المسيطرة، في القرن الواحد والعشرين. ولقد بدأ كثير من مفكري الغرب البارزين بإدراك ذلك. فهم يخشون من أن حضارتهم تقترب من نهايتها، والبعض يتنبأ بأن الإسلام هو القوة الحضارية التي بدأت تحل محل حضارتهم. ومنهم من بدأ يدرك أن تلك القوة العالمية يمكن أن تكون جزءاً من إنقاذ كل حضارات العالم.

الرئيس الأميركي السابق ريتشادر نيكسون[5] له كتاب مشهور «ما وراء الإسلام»

---

(١) سورة الذاريات ـ الآية: ٢٠ ـ ٢٣.

(٢) «أشعة خاصة من نور الإسلام» ناصر الدين دينيه.

(٣) في حوار له مع الدكتور يحيى عريضي سنة ١٩٩٧.

(٤) سورة الحجرات ـ الآية: ١٣.

(٥) «ما وراء الإسلام» ريتشارد نيكسون.

ـ وبغض النظر عن أفعاله وميوله ـ فإن الفكرة الرئيسية لذلك الكتاب، هي أن أي حضارة مهما بلغت من المجد فمآلها إلى الهلاك إن لم تكن روحانية.

أما برجنسكي[1] (وزير خارجية أمريكا الأسبق) فيقول: إن القرن العشرين يمثل فترة صراع بين الغرب والعالم الإسلامي، وإذ عملنا معاً فنستطيع أن نجعل من القرن الواحد والعشرين قرناً فيه ما وراء السلام. فهما حضارتان عظيمتان وسوف تغني إحداهما الأخرى.

وبرجنسكي ـ الذي كان يشهد له بالذكاء والحكمة ـ مما أكسبه مصداقية أنه تنبأ في السابق بسقوط الشيوعية وهو يتوقع نفس المصير للتجربة الأمريكية.

وهذا «موريس بوكاي»[2] واحد من كبار أطباء فرنسا ومن أشهرهم قال: سمعت من المسلمين كلاماً عن دينهم غير الذي كنت أسمعه من آبائي ومن القسس فارتبكت وأردت أن أحقق في ذلك بنفسي فتعلمت لغة العرب وتعلمت القرآن... ودرسته مدة عشر سنوات وأنا أريد أن أصل إلى آية في القرآن تتناقض مع حقيقة علمية.

بحثت ... وبعد طول البحث وجدت أنه ليس هناك آية في كتاب الله ـ عز وجل ـ تتناقض مع حقيقة علمية.. بينما معظم ما في التوراة والإنجيل يتناقض مع الحقائق العلمية فحملني ذلك على أن أدرس ما في القرآن من حقائق علمية، وانتهى بي الأمر بأن أَلفت كتاباً حول ذلك.. حيث أن القرآن يسبق هذه العلوم وأنه قرر الحقائق قبل قرون من معرفة الإنسان لها، واليقينات متصلة بموضوعات شديدة التنوع ومتفقة تماماً مع المعارف العلمية الحديثة.

الآيات التي لها دلالة علمية: تعبر من جهة عن أفكار بسيطة سهلة الفهم لدى أولئك الذين كان يخاطبهم القرآن في البداية.. ومن جهة ثانية فهي تعبر عن أفكار من نوع يمكن لأي جمهور في أي بلد أو زمن إذا كان أكثر ثقافة أن يستخلص في حال اجتهاده في التفكير بعض التعاليم، الأمر الذي يدل على عالمية القرآن.

﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[3].

---

(١) نفس المصدر ٣ صفحة ١٦.

(٢) «مقارنة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثه» موريس بوكاي.

(٣) سورة الأنعام ـ الآية: ٦٧.

يتابع: كلما تقدمنا في مضمار المعرفة، كلما كانت البراهين في صالح وجود الخالق (سبحانه). فالمفكر الغربي في بلادنا الذي حصل على بعض المعارف وعرف الإسلام يدرك إلى أي مدى قد شوه تاريخه وعقيدته وأهدافه وصدق كتابه.

ومن لم يعرف... وهم الغالبية ـ بدل أن يتواضع تجاه جهله تراه ينتفخ كبرياءً وغروراً، ويخيل إليه أنه من حقه الاستهزاء بكل فكره عن الله ـ جل جلاله ـ، بل والسخرية بكل ما يصادفه إذا كان يحجزه عن تحقيق متعته وشهوته.

تجاه هذا الموجه المادية، وانغمار الغرب في الإلحاد، تعلن اليهودية، والمسيحية مثلها، عجزهما عن حجزها، وكلاهما تجاهها في كامل الاضطراب، غير قادرين على مقاومة هذا التيار الذي يهدد باكتساح كل شيء.

الشاعر الألماني الكبير «غوته»: أعتبر أن للقرآن قدرة تربوية خارقة لأنها تحرك في الإنسان وعيه الأعلى بعلاقته بالله وبالكون.

قال لأحد أصدقائه ذات مرة: إن تعاليم هذا الكتاب لن تفشل أبداً، إن كل مناهجنا التي يمكن أن يعتمدها إنسان لا يمكن أن تذهب لأبعد ما ذهب إليه القرآن، فإن كان هذا هو الإسلام فكلنا مسلمون.

أما على مستوى الحقوق والواجبات... فنورد أمثلة على بعض ما قيل ورداً على ما يحاول أعداء الإسلام أن يثيروه للتقليل من شأن تعاليم الإسلام.

الفيلسوف الإفرنسي الكبير فولتير[1] يقول: إن القرآن يختلف عن التوراة الموجودة بأنه لا يجعل ضعف المرأة عقاباً إلهياً ـ كما ورد في سفر التكوين الإصحاح الثالث عدد ١٦ ـ وليس في الإسلام معاملة منكرة للنساء.

جريدة المونيتور الإفرنسية: إن الحقوق الشرعية التي منحها الإسلام للمرأة تفوق كثيراً الحقوق الممنوحة للمرأة الإفرنسية.

جوستاف لوبون[2]: إن الشريعة الإسلامية أعطت المرأة حقوقاً في المواريث لا نجد مثيلها في قوانيننا الأوروبية، وإن جميع الأمم التي جاءت قبل الإسلام

---

(١) «إعجازات حديثة في القرآن» للدكتور رفيق أبو السعود.

(٢) «حضارة العرب» جوستاف لوبون.

أساءت إلى المرأة.

وها هو الغرب يعود تدريجياً إلى التشريع الإسلامي المنطقي والمعقول، فيبيح الطلاق في كافة بلدان العالم المسيحي في أوربا وأمريكا. لأن عدم الطلاق يضطر الرجل إلى اتخاذ خليلات (وأحياناً المرأة) فتكون النتيجة إنجاب أولاد غير شرعيين.

فقد ذكرت مجلة ويبستر الأمريكية أنه يوجد في أمريكا عشرة ملايين من الأطفال اللقطاء.

ويسنماك العالم الثقة يقول في تاريخ الزواج إن تعدد الزوجات ـ باعتراف الكنيسة ـ بقي إلى القرن السابع عشر. وأن التوراة تبيح التعدد، ولم يأت في الإنجيل ما ينسخ ذلك.

وحسب رأي العالم توماس، أن العلاج الوحيد لمشكلة البنات الشاردات (واللآتي يضطررن لممارسة البغاء لكي تَعِشْنَ) هو إباحة تعدد الزوجات.

ففي عام ١٩٤٩ طلب أهالي بون عاصمة ألمانية من السلطات المختصة بأن ينص الدستور الألماني على إباحة تعدد الزوجات.

ونشرت جريدة الأهرام بتاريخ ١١/ ٤/ ١٩٦١ خبراً مفاده أن الحكومة الألمانية الإتحادية أرسلت إلى الأزهر تطلب منه موافاتها بنظام تعدد الزوجات بالإسلام، لأنها فكرت في الاستفادة منه كحل لمشكلة زيادة النساء.

ثم جاء وفد من علماء الألمان واتصلوا بشيخ الأزهر لهذه الغاية، ولكن هنالك ملاحظة مهمة: توضح العدالة الإلهية والتشريع العالي في أن القرآن اشترط في تعدد الزوجات أن يكون هنالك عدل مطلق وكامل في معاملة الزوج لكافة زوجاته، فلا يفضل واحدة على أخرى، لا بمال، ولا بالعناية، ولا بالملبس، ولا بالمعاشرة الجنسية... الخ.

وبعد هذه التوصيات القاسية تقول الآية الكريمة في القرآن:

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[1].

---

(١) سورة النساء ـ الآية: ٣.

والحق سبحانه وتعالى ـ العالم بالنفس البشرية ـ يُعْلمنا مسبقاً حدود هذه النفس وإمكانياتها في تحقيق ذلك العدل.

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾(1).

ختاماً: الإسلام دين كل الشعوب وكل العصور.. لإمكانية كل شعب الاحتفاظ بثقافته وقيمه وتراثه مع تمسكه بالإسلام.

عن رسول الله ﷺ: «إذا أتيتكم بشيء من أمر دينكم فاعملوا به، وإذا أتيتكم بشيء من أمر دنياكم فأنتم أعلم بأمر دنياكم». ـ صحيح مسلم ـ.

ليس في الإسلام فصام بين الروح والجسد أو انشقاق بين روح ومادة أو انقطاع بين السماء والأرض، وبذلك ينقذ العقل من نقائض التفكير ولا ينجيه من نقائض التكليف:

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾(2).

ليس في الإسلام حواجز ولا وسطاء بين الخالق والخَلق.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾(3).

الإسلام لم يكره أحد في الدخول فيه؟ وهذا ما أكده التاريخ ووثيقة الفاتيكان سنة ١٩٧٠:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ﴾(4).

ذاك هو الدين الذي شرف الله ـ عز وجل ـ الإنسان بحمله:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾(5).

تلك أمثلة أوردناها لتكون مدخَلاً إلى موضوع ما الذي وجده علماء الغرب ومفكروه في الإسلام والقرآن.

---

(1) سورة النساء ـ الآية: ١٢٩.

(2) سورة القصص ـ الآية: ٧٧.

(3) سورة البقرة ـ الآية: ١٨٦.

(4) سورة البقرة ـ الآية: ٢٥٦.

(5) سورة يوسف ـ الآية: ١٠٨.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]

هذا البحث جزء من المقدمات ارتأيت أن أجعله مدخلاً للمواضيع العلمية التي التي وجدها العلماء والمفكرون في القرآن (الفصل الثالث)، ولكي يعلم القارئ أيضاً أننا لا نستدل في إثبات إعجاز آيات القرآن الكريم إلا نتائج العلوم القطعية والمشاهدة رأي العين.

سنأتي على شرح موجز لآيتين كريمتين في القرآن، وسنرى كيف تدلنا على أن علم الله علم نهائي وعلم البشر يزداد يوماً بعد يوم ليصل إلى بعض ما آتاه الله من علم.

في القرن السابع عشر وبعد اختراع التلسكوب، توصل العالمان الفلكيان «غاليلو Galilo وكابلر Kapler، إلى اكتشاف أن الشمس ثابتة والأرض والكواكب تدور حولها، وظنوا حينها أنهم وصولوا إلى الحقيقة الكاملة النهائية[2].

وظل هذا الاعتقاد سائداً عند العلماء حتى عام ١٩٢١، إذ لم يكن في مقدور أي أحد أن يتخيل الشمس متحركة ولها حركتها الخاصة بها.

حتى جاءت وكالة ناسا الأمريكية (NASA) في القرن العشرين بعد أن أرسلت قمرها الاصطناعي Cobe Explorer لتقول[3] أن الشمس متحركة فهي تدور حول نفسها وتسبح في مدار خاص لها وبسرعات هائلة، وأن الشمس قطعت نصف مدة حياتها.

فماذا يقول القرآن الكريم منذ أكثر من ١٤٠٠سنة:

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[4].

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[5].

---

(١) سورة الإسراء ـ الآية: ٨٥.
(٢) من أبحاثي التي قمت بإعدادها بتوفيق الله.
(٣) حسب تقرير الموسوعة الأمريكية الجديدة.
(٤) سورة يس ـ الآية: ٣٨.
(٥) سورة يس ـ الآية: ٤٠.

تلك الآيتان البسيطتان في كلماتهما اللغوية والسهلتان في فهمها، أنظروا معي كم جمعت من الحقائق العلمية الثابتة والقطعية التي شوهدت رأي العين بواسطة السفن الفضائية الضخمة. وبعد حسابات فلكية معقدة:

أولاً: الشمس تجري لمستقر لها، الجري: المعنىٰ يتضمن السرعة والنشاط في الحركة، فحسب أحدث المكتشفات العلمية: الشمس تجري مع المنظومة الشمسية لمستقر لها وقد حدده علماء الفلك تماماً فهي تتجه نحو نقطة محددة في مجموعة نجوم (هيرقيل) وبجوار نجمة (Véga) التي تم الاتفاق عليها، فهي ترسم مساراً حلزونياً وبسرعة حددت بمعدل ٦٠٠كم في الثانية.

ثانياً: فيها ذكر لوجود أفلاك للشمس والقمر، وفيها إشارة إلى انتقال هذه الأجرام في الفضاء بحركة منتظمة وخاصة.

الفلك (حسب الشراح القدامى)... هو كل شيء مستدير... فلَكَ: استدار والفلك من كل شيء مستداره، وفلكَة المغزل: هنةٌ في أعلاه مستديره.

ولم يزل عامة الناس يسمون الطريق الذي يدور حول الساحة بـ«الفِلكَة» وهو فصيح.

السبح: السير بسرعة في سهولة وانبساط، وفرس سَبوح: فرس سريع غير مضطرب في جريه... السبح: هو المر السريع في الماء أو الهواء.

إذاً ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾... كل من الشمس والقمر يسيران وبسرعة في أفلاك أي مسارات دائرية أو مدارات.

﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ...﴾ تعبير لفظي، يمكن لأي أحد يملك بعض المعلومات الهندسية أن يفهمه... عندما تأتي إلى ذلك الشخص وتقول له... لدينا جسمان يسيران ومهما سارا لا يلتقيان... فهم منك أن هذين الجسمين يسيران بخطين متوازيين. وهذا تعبير القرآن لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، وبذلك تكتمل إشارة القرآن إلى أن هذه الأفلاك، هي مسارات دائرية ومتوازية مع بعضها.

أليست هذه الآية هي نفس الصورة التي رسمها علماء الفضاء للمجموعة الشمسية، بعد أن صعدوا وعرفوا وأنفقوا الملايين، والأكثر من ذلك ما عرف حديثاً

أن للشمس مساراً دائرياً تجري فيه بسرعة عالية في مجرة درب التبان. وهو تعبير الآية كل في فلك يسبحون. وهو من معاني مستقر الشمس كما أسلفنا.

﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ لا يسبق أحدهما الآخر، بل يحدثنا في الوقت نفسه، وذلك لا يحدث إلا إذا كانت الأرض كروية. (إذ لا يتحقق هذا الكلام في باقي الأشكال الهندسية).

لنستمع إلى ما قاله مدير مرصد طوكيو البروفيسور «يوشيد وكوزاي»[١] بعد أن عرف الحقائق الموجودة بالقرآن الكريم: (إن ما وجدته من حقائق علمية في القرآن يدل على أن المتكلم به يصف الكون من أعلى قمة فيه ومن خارجه، فهو يرى كل شيء في الوجود، وكل شيء أمامه واضح أما نحن العلماء فنبحث أبحاثاً جزئية). وهذا الحديث مسجل على اسطوانات ومتوفر بالصوت والصورة في مقابلة له مع أحد علمائنا المسلمين.

نرجع للآية ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ تدل على أن الأرض والشمس ليستا وحدهما اللتين تسبحان في فلك وإنما كذلك بقية النجوم والكواكب وكل شيء، وهذا ما أكده بالمعنى اللفظي العالم «الرازي» إذ لو كان المعنيان الشمس والأرض فقط لقال الحق «كلتاهما».

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾[٢].

قانوناً كونياً يشمل الوجود كله.. حيث أن «وحدة الخلق تدل على الخالق الواحد» أي أن كل ما في الكون.. أحياء وجمادات وسوائل وغازات.. هو عبارة عن ذرات مترابطة ولها حركتها. (تختلف فقط في العدد الذري لكل ذرة).

لا يوجد شيء في هذا الكون جامد كما يظن الناس، وهذا ما أقره العلماء بعد التجربة والبحث، وهو مصداق قول الحق سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ...﴾ الذرة كما الشمس وكل الأجرام تتحرك، وفي حركة دائمة

---

(١) قال هذا أثناء زيارة له لجامعة الملك عبد العزيز وسنأتي بالتفصيل في الفصل الثالث.

(٢) سورة الإسراء ـ الآية: ٤٤.

ولكن لا نشعر بحركتها وتسبح في مدارات دائرية.

الذرة والتي هي وحدة بناء هذا الكون، عبارة عن نواة وتدور حولها الإلكترونات ضمن أفلاك (دوائر) متوازية كما الكواكب وبنفس اتجاه حركة الشمس والأرض والقمر وكل الكواكب حركة من اليسار إلى اليمين.

المصلون أيضاً لهم نفس الحركة: فهم يرسمون دوائر متحركة مستمرة لا حصر لها حول بيت الله الحرام في أصقاع الأرض، وفي طوافهم حول الكعبة في الحج، فهو تسبيح ككل شيء في الكون وبنفس حركة الكواكب حول الشمس وبنفس الاتجاه من يسار إلى يمين...

﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾[1].

وحتى نتمم الموضوع - (ولو أطلنا على القارئ العزيز) - نرجع لقول علماء وكالة «ناسا» الفضائية الأمريكية... أن الشمس قطعت نصف مدة حياتها.

ظل علماء الفلك حتى نهاية القرن التاسع عشر يعتقدون بأزلية النجوم ولم يكتشف حقيقة الأطوار التي تمر بها النجوم ومن ضمنها الشمس إلا في بداية القرن العشرين، حيث أنها كبقية المخلوقات... تولد وتنمو وتكبر وتهرم وتموت.

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾[2].

هوى: سقط ومات.

فعندما يقسم الحق - جل جلاله - بموت النجوم قبل أن يعرف العلم ذلك، يجعلنا نسلم بكل ما جاء على لسان سيدنا محمد ﷺ، ففي الآية الكريمة: ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى... ﴾[3].

حسب أحدث صورة أُخذت من القمر الاصطناعي Cobe Explorer لنجم «سديم المروحة» في طور احتضاره، وهو نجم بحجم الشمس، يظهر هذا النجم وهو في طريقه للتحول إلى قزم أبيض، فالشمس الآن في المرحة الأولى من تحول ذرات

---

(١) سورة التكوير - الآية: ٢٦ - ٢٨.
(٢) سورة النجم - الآية: ١.
(٣) سورة الرعد - الآية: ٢.

الهيدروجين إلى هليوم في وضع نظري سيدوم خمسة مليارات من السنين، وسيلحق بهذا الوضع دورة ثانية تبرد فيه الشمس وترتفع كثافتها، وتتحول إلى قزم أبيض. (أي تنطفئ وتموت، وحسب التعبير القرآني تجري لأجل مسمىٰ وهذا أبلغ).

الإشارات العلمية في القرآن الكريم كثيرة كثيرة، فهي سابقة سبقاً زمنياً واضحاً، لم يتناولها أحد قبل القرآن في أي عصر، وهذا يدل على أن هذا القرآن وهذا الدين مُنزل من عند الله ـ عز وجل ـ إذ لو كان محمد ﷺ هو الذي جاء بهذا القرآن من عنده لما أقتحم قضايا غيبية، لو أظهر العلم بعد ذلك خلافها، لهدم الإيمان وما جاء في القرآن من قواعده، خاصة وأنه لم يحدثنا أحد زمن الرسول ﷺ أن أحداً قد تحداه بقضية علمية غيبية.

بل على العكس من ذلك. فقد وقع كسوف للشمس صادف وفاة إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، واهتزت مشاعر الناس وظنوا أن تلك الظاهرة معجزة كونية ساقها المولى ـ عز وجل ـ لرسوله في تلك المناسبة.

فلو لم يكن سيدنا محمد ﷺ نبياً مرسلاً من ربه، لأضاف تلك الظاهرة الكونية أو المعجزة هذه كما رآها بعض الناس إلى رصيده الشخصي. ولكنه أبىٰ أن يسكت عليها، وأن يستثمر سذاجة الناس في دعوته وفي سعيه لتحرير الذكاء الإنساني مما يوبقه من رواسب الرؤى المغلوطة والأساطير الموروثة. فإذا به يقوم لأصحابه عندما بلغه ما يردده الناس مبيناً:

«**إن الشمس والقمر، آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله، وكبروا وصلوا وتصدقوا**». البخاري ـ الفتح (١٠٤٤).

قصارى مطلوب العقل من الدين ألا يحجر عليه وألا يحول دون انطلاقه ولم يكن قط ذلك هو موقف الإسلام، ولكن تجاوزه إلى حثه الدائم إلى النظر والتفكر والسير والبحث بلا قيد:

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ . . . ﴾[١].

علماء المسلمين عندما سمعوا القرآن قاموا بدورهم، فكانت عصور حضارة

---

(١) سورة العنكبوت ـ الآية: ٢٠.

الإسلام الزاهية وتوصلوا إلى العديد من حقائق الكون، وأثروا الحركة العلمية الإنسانية وابتكروا المنهج العلمي، بما أفاد النهضة العلمية المعاصرة وكانت بمثابة المرتكزات التي قامت عليها.

﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ من هذه الآية نستدل بأن الخطاب الإلهي لم يكن فقط لعرب البادية والمسلمين زمن تنزيل الوحي بل هو خطاب عالمي لكل البشر قديماً وحديثاً... لما يحتاج النظر في الخلق وبدء الخلق من علم متقدم وأدوات... وهي إشارة إلى عالمية الإسلام وظهوره في آخر الزمان.

﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾[1].

أوليس الذي يأمرك بأن تبحث وتعرف ثم يخبرك بما ستعرف من قبل أن تعرف... هو رب كل شيء ومليكه.

المثال الثاني في البحث: قديماً لم يكن هناك أي معرفة أو فكرة عن كيفية التخلق، وكانت التخيلات والخرافات تلف هذا الموضوع حتى نهاية القرن السابع عشر، وعندما اكتشف المجهر، وشاهدوا الحيوانات المنوية.. قالوا أن الإنسان مختزل في الحبة المنوية غير أنه ينمو، فرسم العلماء صورة للإنسان داخل هذه الحبة، ومنذ ٦٠ عاماً فقط وبعد اختراع المجهر الالكتروني تأكدوا من أن الإنسان لا يوجد إنساناً دفعة واحدة إنما يمر بمراحل وطوراً بعد طور وشكلاً بعد شكل (وهذا ما سنشرحه داخل الكتاب على لسان أحد أكبر العلماء الأجانب).

عندما التقى أحد علمائنا المسلمين بأحد الأساتذة الأمريكان وهو البروفيسور «مارشال جونسون»[2]... قال له الشيخ: ذكر في القرآن أن الإنسان خلق أطواراً ـ وكان هذا الكلام زمن تنزيل القرآن ـ وشرح له الآيتان:

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾[3].

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[4].

---

(١) سورة المعارج ـ الآية: ٣٩.

(٢) «العلم طريق الإيمان» للشيخ عبد المجيد الزنداني.

(٣) سورة الزمر ـ الآية: ٦.

(٤) سورة نوح ـ الآية: ١٣ ـ ١٤.

فلما سمع هذا كان قاعداً فوقف وقال: أطوراً؟ قلنا له: وكان ذلك في القرن السابع الميلادي! فقال: هذا غير ممكن. . . غير ممكن. . . فقعد على الكرسي وهو يقول: بعد أن تأمل: أنا عندي الجواب: ليس هناك إلا ثلاثة احتمالات:

الأول: أن يكون عند محمد ﷺ «ميكروسكوبات» ضخمة. . تمكن بها من دراسة هذه الأشياء وعلم بها.

الثاني: أن تكون وقعت مصادفة.

الثالث: أنه رسول من عند الله.

قلنا: الأول: أنت تعرف أن الميكروسكوبات تحتاج إلى عدسات وخبرة فنية، وآلات. وما ذكر في القرآن وجاء مطابقاً للعلم الحالي يحتاج إلى ميكروسكوبات الكترونية، ويحتاج إلى كهرباء وعلم سابق، وحتى الرومان ـ البلاد المجاورة ـ كانوا جهلة بهذا الموضوع وكذلك العرب والفرس.

الثاني: أن يكون مصادفة. . فما رأيك أن هذه الحقيقة ذكرت بالقرآن في آيات عديدة، مفصلة كل طور (وهذا ما سنبينه في الكتاب).

عندها قال البروفيسور: لا تفسير إلا إنه وحي من فوق.

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾(١).

فلا أظن بعد ذلك أحبائي شيئاً أكبر من أن نتمسك بهذا الدين القويم، وتصغر بنا أنفسنا أكثر عندما نرى علماء ومفكري الغرب قد وجدوا ضالتهم في الإسلام، ونحن أهل الرسالة ما زال الكثير منا غير عارف عظمة هذا الدين المعرفة العلمية الحق.

المستشرق الفرنسي جول لابوم يقول:

«وليتنبه المسلمون أي كنز عرفه الغرب وأضاعوه».

من هنا نستشعر حجم المسؤولية الملقاة على عاتق كل منا، بظهور ذلك النور على العالم، ويصبح من المحزن أن نسمع من مسلم أتاه أحد من الناس ليسأله عن قضية في الدين. . فيقول. . لا أعرف أو ليس عندي اطلاع. . فيضيع بذلك

---

(١) سورة النمل ـ الآية: ٧٩.

فرصة أن يبين ما في الإسلام من خير. ويثبت بذلك الفكرة الخاطئة التي يحملها ذلك الشخص.

اذكر مرة أحد الأصدقاء قال لي: أليس من الخطر أن نطابق بين آيات القرآن الكريم وبين نتاج العلوم الحديثة، فلربما أقر القرآن شيئاً وكشف العلم غير ذلك، فسيؤثر هذا سلباً على الدين.

فأجبته: أولاً... لم يظهر لأحد من البشر مهما أوتي من العلم أي آية من آيات القرآن مناقضة لما أقره العلم والفلسفة والاقتصاد والاجتماع والتاريخ والجغرافيا والجيولوجيا... إلخ، وأصبح من الثابت القطعي واليقيني المشاهد.

ثانياً: نحن مأمورون من الله ـ عز وجل ـ أن نمشي في هذا الطريق... فهو وعد الله للمؤمنين بأنه سيريهم آياته:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1].

سنريهم: أي رأي العين. علم مشاهدة، علم يقين.

وقوله ـ جل وعلا ـ أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد: أي أنه سبحانه متكفل لك بالنتيجة، بأنه سيكون هو الحق.. ألا تقبل بكفالة الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهو خالق كل شيء ومطلع عليه، وهو العالم ـ كما جاء في القرآن ـ أنه سيأتي من يجادل في آيات الله. (وتلك معجزة من معجزات القرآن)

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾[2].

﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾[3].

ومع هذا قد يقول جاهل منا... نخاف أن يكشف العلم غير ذلك... فما رأيك عندما أمر الله ـ عز وجل ـ سيدنا موسى عليه السلام ـ أن يلقي عصاه لتكون حية

---

(١) سورة فصلت ـ الآية: ٥٣.
(٢) سورة الحج ـ الآية: ٣.
(٣) سورة النجم ـ الآية: ٢٨.

تسعى، ولتكون حجةً على الناس. . . فيقول سيدنا موسى عليه السلام ـ وحاشاه أن يفعل ـ لا. . . أخاف أن لا يحدث ذلك ويكذبنا الناس.

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾[1].

ثالثاً: رسالة الإسلام، والكتاب الذي أنزل على سيدنا محمد ﷺ منذ ١٤٠٠عام. . . لو أن أعداء الإسلام ـ وهم كثير ـ وجدوا فيه ما يحطمه، لما انتظروا ولأعلنوا ذلك.

﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2].

* * *

﴿ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾[3]

قصة جميلة حصلت للعالم العربي الدكتور زغلول النجار نوردها في سياق البحث، كان يلقي محاضرة في جامعة كارليل في غرب بريطانيا[4]. وكان الحوار عن جوانب الإعجاز العلمي في القرآن وكان هناك مسلمون وغير مسلمين.

وقف شاب وسأله عن الإعجاز في الآية:

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾[5].

قال الدكتور: المعجزات لا يفسرها العلم، خارقة للسنن، ولولا ورودها في القرآن الكريم والسنة لما أمكننا تصديقها.

---

(١) سورة الذاريات ـ الآيات: ٥ ـ ٦.

(٢) سورة هود ـ الآيات: ٥٥ ـ ٥٦.

(٣) سورة الأنبياء ـ الآية: ٣٧.

(٤) «آيات الإعجاز العلمي في القرآن» للدكتور زغلول النجار.
الدكتور زغلول النجار: أستاذ علوم الأرض في عدد من الجامعات، ومدير معهد ماركفيلد للدراسات العليا في بريطانيا.

(٥) سورة القمر ـ الآية: ١ـ٢.

الرسول ﷺ جاءه نفر من كفار قريش، وطلبوا معجزة، وهي أن ينشق القمر، فدعى المصطفى ﷺ ربه ألا يخزيه في ذلك الموقف فألهمه الله ـ سبحانه ـ أن يشير بإصبعه الشريف إلى القمر، فانشق القمر إلى شقين، تباعدا عن بعضهما البعض لعدة ساعات متصلة ثم التحما . . . فقال الكفار: سحرنا محمد ﷺ.

ولكن بعض العقلاء في ذلك الوقت قالوا: إن السحر لا يمكن أن يصيب كل الناس، فانتظروا الركبان القادمين من السفر، فتسارع الكفار إلى مخارج مكة، فأول ركب قادم سألوه . . . هل رأيتم شيئاً غريباً حدث؟ فقالوا: نعم. في الليلة الفلانية وجدنا القمر انشق إلى فلقتين تباعدتا ثم التحمتا.

هذه الرواية رواها كبار الصحابة . . عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر (رضي الله عنهما). وحتى مؤرخوا الهند يؤرخون في تاريخهم القديم بحادثة انشقاق القمر.

وبعد أن أتم الدكتور حديثه . . . وقف شاب بريطاني مسلم عرف نفسه، قال أنا «داود موسى بكوك» رئيس الحزب الإسلامي البريطاني. قال: وأنا أبحث في الأديان، أهداني شاب مسلم ترجمة لمعاني القرآن الكريم، وحين فتحت هذه الترجمة، وكانت أول سورة أطلع عليها هي سورة القمر وقرأت ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ . . . ﴾ فقلت: هل يعقل هذا الكلام؟ هل يمكن أن ينشق القمر ثم يعود ويلتحم فصدتني هذه الآية عن مواصلة القراءة وتركت المصحف.

ولكن الله ـ تعالى ـ يعلم مدى إخلاصي في البحث عن الحقيقة، فأجلسني أمام التلفاز البريطاني، وكان هناك حوار يدور بين معلق بريطاني وثلاثة من علماء الفضاء الأمريكان فكان المذيع البريطاني يعاتب هؤلاء على الإنفاق الشديد على رحلات الفضاء، في الوقت الذي تمتلئ فيه الأرض بمشكلات الجوع والفقر والمرض والتخلف.

وجلس الثلاثة يدافعون عن وجهة نظرهم، أن هذه التقنية تطبق على نواح كثيرة من الحياة . . . في الطب والصناعة والزراعة.

وفي هذا الحوار جاء ذكر رحلة أول رجل للقمر، وعلى أنها كانت أكثر الرحلات كلفة، ١٠٠ ألف مليون دولار، . . . فصرخ فيهم المذيع وقال: أي سفه هذا . .

لتضعوا العلم الأمريكي على سطح القمر.

فقالوا: كنا ندرس التركيب الداخلي لسطح القمر، لقد وجدنا حقيقة لو أنفقنا أضعاف هذا المال لإقناع الناس بها ما صدقنا أحد، فقال المذيع ما هي؟

قالوا: هذا القمر انشق في يوم من الأيام ثم التحم. فقال: كيف علمتم هذا؟

أجابوا: وجدنا حزاماً من الصخور المتحولة، يقطع القمر من سطحه إلى جوفه، وأيضاً منظر الشق حيث أن التطابق بين النصفين غير تام على كامل الشق، وأن بعض الكتل متقدمة عن الأخرى على هذا الشق. فاستشرنا علماء الأرض وعلماء الجيولوجيا، بعد أن شاهدوا الصور... قالوا لا يمكن أن يكون هذا قد حدث إلا إذا انشق القمر والتحم.

قفزت من على الكرسي... وقلت... معجزة تحدث لمحمد ﷺ قبل ١٤٠٠ سنة، يُسخر الله ـ عز وجل ـ الأمريكيين لينفقوا أكثر من ١٠٠ ألف مليون دولار ليثبتوا للمسلمين ذلك، إذن هذا الدين الإسلامي على حق. فرجعت إلى سورة القمر، وكانت مدخلي إلى قبول الإسلام ديناً.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

---

(١) سورة النمل ـ الآية: ٩٣.

الفصل الأول

آيات الله تتجلى في عصر العلم

في مطلع القرن العشرين وبعد فشل النظرية المادية وسقوطها سقوطاً نهائياً، توصل عدد كبير من العلماء والمفكرين إلى أدلة وقناعات قطعية تؤكد أن كل ما في الكون ينطق بأن له خالقاً يمنح كل ذرة من ذراته أسباب قوتها ونظامها الذي يربطها بالقانون الناظم العام، فخرج هذا الكون بهذا الاتزان المحكم وبهذا الارتباط بين قوى الطبيعة المسخر لخدمة الإنسان ومظاهر الجمال والإبداع.

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[1].

لهذا ارتأيت التطرق للموضوع قبل الشروع في موضوع «ما الذي وجده علماء الغرب ومفكروه في الإسلام والقرآن، ليكون مدخلاً له، ولكي يفهم القارئ العزيز كيف وجد هؤلاء العلماء ضالتهم في الإسلام بعد الدراسة والبحث.

سنرى في هذا الفصل كيف بين هؤلاء العلماء أن قوانين الديناميكا الحرارية مثلاً تدل على أنه لا بد أن يكون لهذا الكون من بداية ـ وهذا عكس ما ظنه الماديون بأزلية المادة وأنها أوجدت نفسها بنفسها ـ، فإن كان للكون بداية فلا بد له من مبدئ، ومن صفات هذا المبدئ، العقل والإرادة والحكمة... ومن طبيعة تخالف طبيعة المادة... خبيراً لا نهاية لخبرته، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وإذا أردنا أن نلمس وجوده فيكون ذلك باستخدام العنصر المادي فينا كالعقل والبصيرة.

إن فروع العلم كافة تثبت أن هنالك نظاماً معجزاً يسود هذا الكون، أساسه القوانين والسنن الكونية الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل. والتي يعمل العلماء جاهدين على كشفها والإحاطة بها، وقد بلغت هذه الكشوف من الدقة قدراً يمكنهم من التنبؤ بالكسوف والخسوف وغيرها من الظواهر قبل وقوعها بمئات السنين.

فمن الذي سن هذه القوانين وأودعها كل ذرة من ذرات الوجود، بل في كل

---

(١) سورة الذاريات ـ الآية: ٢٣.

ما هو دون الذرة عند نشأتها الأولى، من الذي خلق كل ذلك النظام والتوافق والإنسجام؟ من الذي صمم فأبدع وقدر فأحسن التقدير؟ هل خُلق كل ذلك من غير خالق أم هم الخالقون؟

ويرد العلماء فيما سنذكر على أولئك الذين يدعون أن الكون نشأ هكذا عن طريق المصادفة. . . وقد حسب العلماء إحتمال اجتماع الذرات التي يتكون منها جزيء واحد من الأحماض الأمينية (وهي المادة الأولية التي تدخل في بناء البروتينات واللحوم). فوجدوا أن ذلك يحتاج إلى بلايين عديدة من السنين، وإلى مادة لا يتسع لها هذا الكون، فما بالك بأجسام الكائنات الحية جميعاً، وما بالك بنشأة الحياة وبملكوت السماوات والأرض. . لا بد لكل ذلك من خالق مبدع عليم خبير، أحاط بكل شيء علماً، وقدر كل شيء ثم هدى (كما أسلفنا).

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾[1].

فلا تكون كل هذه الثقة في القوانين الطبيعية لو أن سلوك المادة والطاقة كان من النوع العشوائي الذي تتحكم فيه المصادفة. ولما أضاع الناس أعمارهم بحثاً عنها، فهل يتصور عاقل أو يعتقد أن المادة المجردة من العقل والحكم قد أوجدت نفسها بنفسها، أو أنها هي التي أوجدت هذا النظام وتلك القوانين ثم فرضته على نفسها.

ويقول بعض العلماء الغربيون أيضاً أن جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم في إله هو على صورة الإنسان، (مثل: أن الله ـ (استغفره) ـ تجسد في جسد المسيح): وعندما تنمو العقول بعد ذلك وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية تجد أن تلك الصورة لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم في التفكير أو مع أي نمط. أما إذا آمن بما تكشف عنه وتدل عليه الظواهر الطبيعية فإنه يسير في الطريق السليم نحو الإيمان بجلال الله وقدسيته. . . ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾[2] ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾[3].

---

(١) سورة القمر ـ الآية: ٤٩ ـ ٥٠.

(٢) سورة المؤمنون ـ الآية: ٩١.

(٣) سورة يونس ـ الآية: ٣٤.

الله غير محتاج أحد من عباده. والإنسان جاء وكل شيء قد أعد له قبل أن يأتي وسخر له ما في الكون ليعطيه ما يشاء.

فكيف يكون للإنسان عمل قبل أن يوجد الكون... وقبل أن توجد الشمس أو الريح أو المطر...

ولو أن للطبيعة المادية حرية الاختيار لفقد الإنسان ذاته حرية الاختيار ولأصبح كل شيء فوضى...

مثلاً حرية الحيوان محدودة، وهذا ما يجعله يحافظ على جسده فلا يتلفه أو يعرضه للأذى إلا في سبيل الدفاع عن نفسه.

ويضيف العلماء في النهاية:

إذا ما قارنا بين الشواهد التي يستدل بها المؤمنون على الله، وتلك التي يستند عليها الملحدون في إنكار ذاته العليا لاتضح لنا أن المؤمن يقيم إيمانه على البصيرة أما الملحد فيقيم إلحاده على العمى.

هذه لمحة سريعة لما خرج به هؤلاء العلماء وإليك موجزاً عن بعض هؤلاء ولبعض ما قالوه، وكل حسب اختصاصه، (وسنورد بعد كل قول من هؤلاء ما يذكرنا بآيات الله).

أدوارد لوثر كيسيل ـ أستاذ علم الأحياء بجامعة سان فرنسيسكو[1]

متخصص في دراسة أجنة الحشرات والسلامند

لقد عمت أمريكا في الخمسينات من هذا القرن موجة من العودة إلى الدين، ولم تتخط هذه الموجة معاهد العلم لدينا، وطبيعي أن البحوث العلمية التي أدت إلى الأدلة على خلق الله لم يكن يقصد من أجرائها إثبات وجود الخالق، فغاية العلوم هي البحث عن خفايا الطبيعة واستغلال قواها.

القانون الثاني من قانون الديناميكا الحرارية يثبت خطأ ما اعتقد بعض العلماء بأن الكون أزلي وأنه هو خالق نفسه، فهناك انتقال حراري مستمر من الأجسام الحرارية إلى الأجسام الباردة، ومعنى ذلك أن الكون يتجه إلى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام، فمكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجياً وأنها سائرة حتماً إلى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هي الصفر المطلق، ويومئذ تنعدم الطاقة، وتتوقف الحياة، ولن يكون هنالك عمليات كيميائية أو طبيعية، أما الشمس المستعرة التي تعطي الحرارة والطاقة للأرض فهي إلى زوال وفناء كما كل شيء في الكون ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾[2].

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾[3]. هوى: بمعنى سقط أو مات.

إذاً الكون ليس أزلياً أي له نهاية وباعتبار أن له نهاية فله بداية، وهي بذلك تثبت

---

(١) المادة العلمية وأقوال هذا العالم وباقي العلماء في هذا الفصل مأخوذ بتصرف من كتاب The Evidence of God In An Expanding Universe تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض ـ نيويورك. ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان ـ دكتوراه في العلوم ـ القاهرة. أشرف على الكتاب «John Clover Monsma» سنة ١٩٦٨.

(٢) سورة الزمر ـ الآية: ٥.

(٣) سورة النجم ـ الآية: ١.

ـ وبدون قصد ـ وجود الله، لأن الذي له بداية لا يمكن أن يكون قد بدأ بنفسه، لا بد له من مبدى، أو محرك أول، وهو الخالق.

ولم يقتصر ما قدمته العلوم على إثبات أن لهذا الكون بداية، بل أثبتت أنه بدأ دفعة واحدة منذ خمسة بلايين سنة تقريباً، والكون في عملية انتشار مستمر بدأ من مركز نشأته وهو في توسع إلى اللحظة التي يبدأ فيها بالتراجع والانهيار[١]. ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[٢].

اليوم لا بد لمن يؤمنون بنتائج العلوم من أن يؤمنوا بفكرة الخلق. وهي فكرة تستشرف على سنن الطبيعة، لأن هذه السنن إنما هي ثمرة الخلق، ولا بد لهم من أن يسلموا بفكرة الخالق الذي وضع قوانين هذا الكون، لأن هذه القوانين ذاتها مخلوقة. فلا يمكن أن يكون هنالك خلق دون خالق، وما أن أوجد الله هذا الكون وقوانينه حتى سخرها جميعاً لاستمرار عملية الخلق عن طريق التطور... وليس التطور إلا مرحلة من مراحل الخلق. ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ۝١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا﴾[٣].

---

(١) وهذا أحدث اكتشاف لوكالة NASA الفضائية، بأن الكون دائم الاتساع وهذا ما يثبت خطأ العلماء في القرن السابع عشر من أن النجوم ثابتة والكون ثابت منذ نشأته.

(٢) سورة الذاريات ـ الآية: ٤٧.

(٣) سورة نوح ـ الآية: ١٣ ـ ١٤.

كلود م. هاثاواي. مستشار هندسي بمعامل شركة جنرال الكتريك. مصمم العقل الالكتروني للجمعية العلمية للملاحة الجوية

التصميم يحتاج إلى مصمم، وقد دعم إيماني بالله، ما أقوم به من تصميمات لأجهزة كهربائية، زاد من تقديري لكل تصميم أو إبداع أينما وجدته.

وعلى ذلك فإنه بما لا يتفق مع العقل والمنطق أن يكون ذلك التصميم البديع للعالم من حولنا دون إبداع من إله أعظم لا نهاية لتدبيره وإبداعه وعبقريته.

إن المهندس يتعلم كيف يمجد النظام، وكيف يقدر الصعاب التي تصاحب التصميم عندما يحاول المصمم أن يجمع بين القوى والموارد والقوانين الطبيعية في تحقيق هدف معين.

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

وليس الكون من حولنا إلا مجموعة هائلة من التصميم والإبداع والتنظيم، ورغم استقلال بعضها عن بعض، فإنها متشابكة متداخلة، وكل منها أكثر تعقيداً في كل ذرة من ذرات تركيبها من ذلك المخ الالكتروني الذي صنعته، فإن كان هذا الجهاز يحتاج إلى تصميم، أفلا يحتاج ذلك الجهاز الفيسيولوجي الكيميائي البيولوجي الذي هو جسمي، والذي بدوره ليس إلا ذرة بسيطة من ذرات هذا الكون اللانهائي في اتساعه وإبداعه، إلى تصميم.

﴿ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾[2] .

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾[3] .

---

(١) سورة الدخان ـ الآية: ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) سورة المعارج ـ الآية: ٣٩ ـ ٤٠.

(٣) سورة غافر ـ الآية: ٥٧.

وكلما كان النظام أكثر تعقيداً، كلما بَعُد احتمال نشأته عن طريق المصادفة، فمن الحماقة إذاً أن أنكر وجوده سبحانه، فالفيزياء الحديثة قد علمتني أن الطبيعة أعجز من أن تنظم نفسها أو تسيطر على نفسها.

فالطبيعة لا تستطيع أن تصمم أو تبدع نفسها، لأن كل تحول طبيعي لا بد أن يؤدي إلى نوع من أنواع ضياع النظام أو تصدع البناء العام. ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾[1].

على ضوء ما لدينا من المعلومات عن الطبيعة النووية، نجد أنها تبين لنا كيف تتفاعل الجزئيات الأساسية لكي تكون لنا جميع العناصر المعروفة التي يتألف منها هذا الكون التي تبدأ ببروتونات لها خواص معينة وقوة جاذبية تجعلها تنضم بعضها إلى بعض، أما كيف نشأت هذه البروتونات ذاتها، ولماذا كان لها هذه الصفات بالذات، فذلك ما لم تستطع العلوم أن تقدم شرحاً وبياناً له:

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[2].

نصل في النهاية إلى ضرورة وجود قوانين طبيعية تخضع لها ذرات هذا الكون، وكله دال على وجود القادر المدبر، وهو الذي قدر لكل ظاهرة من ظواهر هذا الكون أن تسير في طريقها المرسوم لها. وقد خلق الله الالكترونات والبروتونات والنيترونات وجعل لها خواصها المعينة، فرسم لها بذلك سلوكها وأقدارها.

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾[3].

فالله هو المبدئ... كلمات بسيطة ولكنها تتسم بالجلال.

﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ ﴾[4].

---

(١) سورة الحجر ـ الآية: ١٩.

(٢) سورة الإسراء ـ الآية: ٨٥.

(٣) سورة الأعلى ـ الآيات: ٢ ـ ٣.

(٤) سورة النمل ـ الآية: ٦٤.

وولتر أوسكار لندبرج ـ عالم الفيسيولوجيا والكيمياء الحيوية

مؤلف سلسلة كتب تركيب الدهون والليبدات

جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم في إله على صورة الإنسان، بدلاً من الاعتقاد بأن الإنسان قد خلق خليفة الله على الأرض.

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[1].

إن الطريقة العلمية التي تقود إلى الله تقوم على أساس انتظام الظواهر الطبيعية والقدرة على التنبؤ بها في ظل هذا الانتظام، وتستطيع أن نقول بكل دقة إن هذا الانتظام والتنبؤ هما أساس الإيمان، إذ كيف يتسنى أن يكون هنالك كل هذا الانتظام ما لم يكن هنالك مبدع ومدبر وحافظ لهذا النظام العجيب.

﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾[2].

الكيمياء بحكم اختصاصها بدراسة التراكيب والتغيرات التي تطرأ على المادة. . . تثبت أن سلوك أي جزء من أجزاء المادة مهما صغر أو تضاءل حجمه، لا يمكن أن يكون سلوكاً عشوائياً، بل أنه يخضع لقوانين طبيعية محددة، وبمجرد معرفة القانون وتحديد الظروف التي يعمل في ظلها، يثق الكيماويون فيه كل الثقة ويظل القانون عاملاً ومؤدياً لنفس النتائج.

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[3].

---

(١) سورة المؤمنون ـ الآية: ٩١.

(٢) سورة الملك ـ الآية: ٣.

(٣) سورة يونس ـ الآية: ٦١.

ومنذ مائة عام تقريباً رتب العالم الروسي مانداليف العناصر الكيماوية تبعاً لتزايد أوزانها الذرية ترتيباً دورياً. وقد وجد أن العناصر التي تقع في قسم واحد تؤلف فصيلة واحدة ويكون لها خواص متشابهة، فهل يمكن إرجاع ذلك إلى مجرد المصادفة.

إن اكتشاف مانداليف لا يطلق عليه المصادفة الدورية، ولكنه يسمى «القانون الدوري، وإن عدداً قليلاً جداً من ذات أي عنصر تكفي للكشف عنه ومعرفة خواصه».

فهل يتصور عاقل أو يفكر أو يعتقد أن المادة المجردة من العقل والحكمة قد أوجدت نفسها بنفسها بمحض الصدفة، أو أنها هي التي أوجدت هذا النظام، وتلك القوانين ثم فرضته على نفسها؟

وعلى ذلك فإن العالم المادي لا بد أن يكون مخلوقاً، وهو منذ أن خلق يخضع لقوانين وسنن كونية محددة، إن لهذا الكون خالقاً حكيماً، عليماً قادراً على كل شيء، ولا بد أن يكون هذا الخالق دائم الوجود تتجلى آياته في كل مكان.

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾(١).

---

(١) سورة فاطر ـ الآية: ٤٣.

ميرت ستانلي كونجدن ـ عالم طبيعي وفيلسوف

فيزيائي واخصائي علم نفس وفلسفة العلوم

إن هذا الكون الذي نعيش فيه لا يمكن أن يكون مادة صرفاً وإنما هو مادة وروح، أو مادة وغير مادة، ولا تستطيع أن تصف الأشياء بالأوصاف المادية وحدها.

الكون ثنائي (وهذا ما سنوضحه لاحقاً)... ولو لم يكن كذلك ما فشلت النظريات القديمة التي فسرت الكون إما مادياً صرفاً أو معنوياً صرفاً.

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

واستطاع العلماء بعد البحث الطويل، وبطريقة الاستدلال والقياس، في عالم يفيض بالأمور العقلية، أن يصلوا إلى وجوب وجود قوة مسيطرة مدبرة تدير هذا الكون وتدبر أموره.

﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴾[2].

ويعيننا هذا على فهم ما يغمض علينا من أمر منحنيات التوزيع، ودورة الماء بين البحر والنهر، ودورة ثاني أكسيد الكربون فيها، وعمليات التكاثر العجيبة، وعمليات التمثيل الضوئي ذات الأهمية البالغة في اختزان الطاقة الشمسية وما لها من أهمية بالغة في حياة الكائنات الحية... وهكذا مما لا يحصى من عجائب هذا الكون.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا... ﴾[3].

---

(١) سورة الذاريات ـ الآية: ٤٩.

(٢) سورة الطلاق ـ الآية: ١٢.

(٣) سورة الأنعام ـ الآية: ٩٩. خضراً: مادة اليخضور «الكلوروفيل» التي تنتج بعملية التمثيل الضوئي.

﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ . . . ﴾(١) .

ويعيننا هذا في تفسير هذا الانتظام في ظواهر الكون والعلاقات السببية، والتكامل، والفرضية، والتوافق والتوازن، الذي ينظم سائر الظواهر وكيف تمتد آثاره من عصر إلى عصر .

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾(٢) .

ونحن العلماء عندما نقوم بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها، فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته، دون أن يكون في هذا الكون مثيل له أو معادله .

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾(٣) .

ذلك هو الله الذي لا نستطيع أن نصل إليه بالوسائل العلمية المادية وحدها، ولكننا نرى آياته في أنفسنا وفي كل ذرة من ذرات هذا الوجود، وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٤) .

---

(١) سورة البقرة ـ الآية : ١٦٤ . السحاب المسخر : دورة المياه بين السماء والأرض .

(٢) سورة السجدة ـ الآية : ٧ .

(٣) سورة الإخلاص ـ الآية : ٤ .

(٤) سورة الزخرف ـ الآية : ٨٤ .

جورج ايرل دافيز ـ عالم طبيعة ورئيس قسم البحوث الذرية بالبحرية الأمريكية ـ أخصائي في الإشعاع الشمسي والبصريات

تتعدد الأسباب التي تدفع بالإنسان إلى التفكر في أمور الدين، ولكننا نؤمن أنها ترجع جميعاً إلى رغبة البشر رغبة صادقة في الوصول إلى الحقيقة.

وقد يكون شخص ما غير معتنق لدين من الأديان، ولكنه يؤمن بإله قوي كبير، فلا يجوز أن نعده ملحداً، وقد يكون إيمانه هذا بالله قائماً على أساس متين. وهذا ما نلاحظه فعلاً من شيوع الإيمان بين جمهرة المشتغلين بالعلوم.

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1].

وأستطيع أن أُوكد أنه بينما تتفق عقيدتي الدينية في الوقت الحاضر مع ما تعلمته في صباي عن وجود الله، فإن هذه العقيدة تقوم في الوقت الحاضر على أساس قوي يختلف كل الاختلاف عن الأساس الذي يقوم عليه الإيمان المستمد من سلطة الكنيسة ورجال الدين.

﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾[2].

نستطيع أن نصل إلى وجود الله باستخدام العقل والاستنباط مما نتعلمه ونراه، فالمنطق الذي نستطيع أن نأخذ به، والذي لا يمكن أن يتطرق إليه الشك، هو أنه ليس هنالك شيء مادي يستطيع أن يخلق نفسه.

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ . . . ﴾[3].

---

(١) سورة العنكبوت ـ الآية: ٤٩.
(٢) سورة مريم ـ الآية: ٩٠ ـ ٩٣.
(٣) سورة فاطر ـ الآية: ٢٨.

إن التطور الذي تكشف عنه العلوم في هذا الكون، هو ذاته شاهد على وجود الله . . . فمن جزئيات بسيطة ليس لها صورة معينة وليس بينها فراغ نشأت ملايين من الكواكب والنجوم والعوالم المختلفة لها صورة معينة وأعمار محدودة تخضع لقوانين ثابتة يعجز العقل البشري عن الإحاطة بمدى إبداعها.

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾(١).

بل هناك ما هو أشد إعجازاً وأكثر دلالة، وهو تلك الأنواع المتطورة من الإحياء، بل كائنات تستطيع أن تفكر وتبتكر وتنشئ أشياء جميلة، بل وتبحث عن أسرار الحياة والوجود.

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾(٢).

هنالك أمر لا شك فيه، بقدر ما بلغ الإنسان من معرفة وما لديه من ذكاء وقدرة على التفكير، لم يشعر في وقت من الأوقات بأنه كامل في ذاته، ولم يدرك كنة هذا الكون المتسع، كما عجز عن إدراك سر الحياة وطبيعتها في هذا الوجود.

وبرغم أن العلوم تستطيع أن تقدم لنا نظريات قيمة عن السديم ومولد المجرات والنجوم والذرات و. . .، فإنها لا تستطيع أن تبين لنا مصدر المادة والطاقة التي استخدمت في بناء هذا الكون، أو لماذا اتخذ الكون صورته الحالية ونظامه الحالي.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾(٣).

﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾(٤).

الأمر الذي نستطيع أن نثق به كل الثقة، هو أن الإنسان وهذا الوجود من حوله لم ينشأ هكذا نشاة ذاتية من العدم المطلق. كما أن وراء معجزة الحياة توجيهاً وتدبيراً خارج دائرة الإنسان. وقوانين أيضاً هو لم يضعها.

---

(١) سورة لقمان ـ الآية: ١١.

(٢) سورة العنكبوت ـ الآية: ٢٠.

(٣) سورة البقرة ـ الآية: ٢٩.

(٤) سورة ق ـ الآية: ١٥.

ولا يفعل الإنسان أكثر من أن يكتشفها ثم يحاول أن يستخدمها في محاولة إدراك أسرار هذا الكون.

هناك صفات مشتركة بين جميع الفصائل والأنواع، هناك تشابه بين الصنف الواحد وهناك اختلاف في الشكل والمظهر.

وراء كل ذلك التنظيم خالقٌ مدبرٌ هو الذي خلق المادة الأساسية فيها وأودعها من القوة والتوجيه ما جعلها تتخذ هذه الصورة التي لا تحصى من الأفراد والأصناف والأنواع والأجناس منذ أقدم العصور الجيولوجية، أن هذه الكائنات جميعاً قد بدأت على هيئة مخلوقات متلائمة:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة الروم ـ الآية: ٢٢.

توماس دافيدباركس

عالم في النظريات الكهربائية والأشعة السينية

يروي لنا هذا العالم حادثة بسيطة لعلها كانت السبب في تحويل مجرى حياته، لقد كان ينظر إلى ابنته الصغيرة ثم التفت دون شعور إلى شكل أذنيها وذكر بينه وبين نفسه أنه من المحال أن تكون تلك التلافيف الدقيقة التي تشمل عليها الأذن قد نشأت عن طريق المصادفة.

إنها لا يمكن أن تكون قد نشأت إلا عن خبرة بالغة وتصميم وتدبير.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾(١).

فلننظر من حولنا... إلى الحكمة البالغة التي ينطوي عليها خروج بعض الظواهر عن العادة أو المألوف (رداً على الماديين أن الطبيعة تسير نفسها).

فالماء مثلاً... يتوقع الإنسان من وزنه الجزئي (١٨) أن يكون غازياً تحت درجة الحرارة المعتادة والضغط المعتاد (حسب الجدول الدوري للعناصر).

فوجود الماء على الحالة السائلة في درجة الحرارة المعتادة يجعل الإنسان يقف ويفكر.

وللماء فوق ذلك كثير من الخواص ذات الأهمية البالغة نجدها تدل على التصميم والتدبير.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾(٢).

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة الملك ـ الآية: ٢٣.

(٢) سورة الأنبياء ـ الآية: ٣٠.

(٣) سورة الواقعة ـ الآية: ٦٨ ـ ٧٠.

فالماء يغطي نحو ثلاثة أرباع سطح الأرض، وهو بذلك يؤثر تأثيراً بالغاً على الجو السائد ودرجة الحرارة، ولو تجرد الماء من بعض خواصه لظهرت على سطح الأرض تغيرات في الجو تؤدي إلى حدوث الكوارث.

والماء هو المادة الوحيدة المعروفة التي تقل كثافتها عندما تتجمد، إذ بسببها يطفو الجليد على سطح الماء، بدلاً من أن يغوص إلى قاع المحيطات ويكون تدريجياً كتلة صلبة لا سبيل إلى إخراجها أو إذابتها. ولكنها في الواقع وبإرادة الله تشكل طبقة عازلة تحفظ الماء الذي تحتها، وبذلك تبقي الأسماك وغيرها حية.

وأيضاً دوره في نمو النبات بما ينقله من المواد الغذائية، ودوره في أجسامنا بوصفه مركباً أساسياً من مركبات الدم. وليس الماء هو المادة العجيبة الوحيدة في هذا الكون.

وإنني المس فوق ذلك كله محبة الخالق لخلقه واهتمامه بهم.

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً ﴾[١].

﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾[٢].

لقد كان دالتون يعتبر الذرة كتلة صلبة من المادة تخضع لقوانين نيوتن، وفي القرن التاسع عشر أجريت تجارب اتضح منها: أن هنالك جزئيات هي دون الذرات. لها سلوك من البروتونات والالكترونات وغيرها، غير سلوك الذرة.

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[٣].

عندما نمزج المحاليل يسلك كل أيون من الايونات الداخلة في التفاعل سلوكاً خاصاً غير منتظم، لا نستطيع التنبؤ به، ومع ذلك فإننا نستطيع أن نقدر نتائج التفاعل

---

(١) سورة الأعراف ـ الآية: ٣٢.

(٢) سورة النحل ـ الآية: ٥ ـ ٦.

(٣) سورة يونس ـ الآية: ٦١.

الكلي تقديراً بالغ الدقة، وقوانين الطبيعة الكيماوية تقوم في أساسها على عدم الانتظام. ومع ذلك نشاهد انتظاماً للظواهر وهذا النظام الذي نشاهده والتوافق إنما يخرجان من الفوضى. (وكل ما في الكون هو كذلك حتى الإنسان نفسه).

﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾(١).

وتدل الشواهد على وحدة الكون، ولدينا من الطرق والوسائل ما يمكننا من اختبار كثير من العناصر الموجودة في الكواكب والنجوم الأخرى، ومعرفة أنها هي نفس العناصر التي توجد على الأرض وأيضاً لها نفس القوانين.

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ. . . ﴾(٢). (وهذا ما أوضحناه سابقاً).

---

(١) سورة الروم ـ الآية: ٣٠.

(٢) سورة الإسراء ـ الآية: ٤٤.

أندروكونواي إيفي - عالم فسيولوجي - من العلماء الطبيعين ذوي الشهرة العالمية - رئيس قسم الصيدلة بجامعة فورت وستون

عندما يبدأ الطفل يسأل من الذي صنعني؟ ومن الذي صنع الدنيا؟ يوضح لنا أن الطفل قد اكتشف مبدأ السببية أو قانون السببية الذي ينص على أنه «لا تأثير بغير مؤثر» ولا بد لكل آلة من صانع ولكل تغيير من محدث.

ثم يسير التفكير في سلسلة من المسببات تبدأ بوجودي ووجود الدنيا وتنتهي إلى وجود الله بوصفه المسبب الأول.

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴾(١).

ففي علم وظائف الأعضاء، تدل خياشيم الأسماك على أسبقية الماء، كما تدل أجنحة الطيور ورئات الإنسان على أسبقية الهواء، وتدل أعين الإنسان على أسبقية الضوء كما تدل الحياة على أسبقية القانون الطبيعي اللازم لنشأتها.

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ . . . ﴾(٢).

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾(٣).

ليس من العقل أن لا نظن أن أعمق الأفكار والعواطف والأعمال التي نشاهدها في الإنسان لا تدل على شيء سابق . . . إنها تدل على أسبقية وجود عقل علوي.

وعندما يقوم صانع مفكر بعمل آلة، يكون لديه تصميم لها والغاية من ورائها، وهو في أثناء صناعتها يبث فيها نفسه.

---

(١) سورة عبس - الآية: ٢٤ - ٢٧.

(٢) سورة الروم - الآية: ٢٥.

(٣) سورة يس - الآية: ٧٨ - ٨٠.

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١).

الإنسان وحده له حرية الاختيار، وإن لم نطع القانون الإلهي الذي وضعه الله، فعلينا أن نتحمل النتائج.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾(٢).

إن ملاءمة الأرض للحياة تتخذ صوراً عديدة لا يمكن تفسيرها على أساس المصادفة أو العشوائية. فالأرض كرة معلقة في الفضاء وتدور حول نفسها، وهي تسبح حول الشمس، فيكون تتابع الليل والنهار ويكون تتابع الفصول الذي بدوره يؤدي إلى زيادة مساحة الجزء الصالح للسكنى، ويزيد من اختلاف الأنواع النباتية أكثر مما لو كانت الأرض ساكنة.

﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾(٣).

﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾(٤).

ويحيط بالأرض غلاف غازي، ويبلغ هذا الغلاف الغازي من الكثافة درجة تحول دون وصول ملايين الشهب القادمة إلينا، ويحفظ هذا الغلاف درجة حرارة الأرض في الحدود المناسبة للحياة، ويحفظ دوره المياه بين البحر واليابسة.

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ ﴾(٥).

فالأرض تمثل بيئة ثابتة لحياة كثير من الكائنات، وهكذا فالأمثلة كثيرة كلها تشير إلى أن الأرض مهيئة على أحسن صورة للحياة.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ . . . ﴾(٦).

---

(١) سورة البقرة ـ الآية: ٣٠.

(٢) سورة الأحزاب ـ الآية: ٧٢.

(٣) سورة الأعراف ـ الآية: ٥٦.

(٤) سورة الملك ـ الآية: ١٥.

(٥) سورة الأنبياء ـ الآية: ٣٢.

(٦) سورة يونس ـ الآية: ٢٤.

سيسل هامان ـ عالم بيولوجي ـ أستاذ في كلية آسبوري

هل كان من الصدفة: أن تنتج الأزهار ذلك الرحيق الحلو الذي يجتذب الحشرات فتلقح الأزهار وتؤدي إلى زيادة المحصول. . . خدمة للإنسان.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ﴾[1].

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ. . . ﴾[2].

هل من محض الصدفة ـ التي نادى بها الماديون ـ أن تكون الأعضاء الذكرية والأعضاء الأنثوية في داخل الزهرة الواحدة. حيث تهبط حبوب اللقاح الرقيقة على ميسم الزهرة فتنبت وتسير في القلم حتى تصل إلى المبيض، فيتم التلقيح وتتكون البذور.

﴿ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ. . . ﴾[3].

فإذا رفعنا أعيننا نحو السماء، رأينا النجوم والكواكب السابحة بسرعات عالية، والتي تتبع نظاماً دقيقاً لا تحيد عنه قيد أنمله، مهما مرت الليالي وتعاقبت عليها الفصول والأعوام والقرون منذ بدء الخليقة.

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[4].

وإذا لم يكن لها نظام ثابت ـ رغم سرعاتها الكبيرة ـ ولم تكن تتبع قوانين معينة وهي من الجمادات التي لا إرادة لها، فهل كان من الممكن أن يثق بها الإنسان ويهتدي، فهي رغم أنها سابحة ومعلقة في السماء فهي ليست حرة تتخبط كما تشاء.

---

(١) سورة الزمر ـ الآية: ٢١.

(٢) سورة النحل ـ الآيات: ٦٨ ـ ٦٩.

(٣) سورة الرعد ـ الآية: ٣.

(٤) سورة يس ـ الآية: ٤٠.

﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾[1]

ولو أنه كلما أجريت تجربة أعطتك نتيجة مختلفة عن سابقتها ـ بسبب ما يقولون توقفها على المصادفة أو أنها تسير نفسها بطبيعتها، فأي تقدم كان من الممكن أن يحققه الإنسان، وكلما وصل الإنسان إلى قانون جديد، فإن هذا القانون ينادي قائلاً: «إن الله هو خالقي ولست أيها الإنسان إلا مكتشفي».

---

(١) سورة الواقعة ـ الآيات: ٧٥ ـ ٧٦.

ديل سوارتزنف دروبر ـ دكتوراه فيزياء التربة ـ
عضو جمعية علم التربة ـ أمريكا

إن ما درسناه عن العناصر الغذائية اللازمة لحياة النبات يجعلنا نقف وننظر كيف هيأ المدبر الأعظم الظروف المناسبة لنمو النباتات في الأحقاب الجيولوجية القديمة، فإذا سلمنا بأن هذه النباتات القديمة كانت لها نفس الاحتياجات الغذائية، فلا بد أن تكون القواعد القابلة للذوبان وكذلك المواد الفسفورية والنيتروجينية قد نضبت بعد هذه الفترة الطويلة.

ولكن تقدير الخالق وتدبيره في جعل التربة قادرة على تجديد خصوبتها بمساعدة العوامل الخارجية. (هذا ما يدل على ترابط كل عوامل الطبيعة مع بعضها بقانون واحد).

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾(1).

كثير من الناس يظن أن البرق ليس أكثر من وسيلة من وسائل التدمير، ولكن التفريغ الكهربائي الناتج عن البرق يؤدي إلى تكوين أكاسيد النيتروجين التي يهبط بها المطر أو الثلج إلى التربة ويستفيد منها النبات.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾(2).

لا يكفي أن يكون هناك ضوء وماء ومواد كيميائية وهواء لكي ينمو النبات، إن هناك قوة داخل البذرة تنبثق في الظروف المناسبة فتؤدي إلى قيام كثير من التفاعلات المتشابكة والتي تعمل معاً في توافق عجيب.

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾(3).

---

(1) سورة يس ـ الآية: ٣٣.

(2) سورة الرعد ـ الآية: ١٢.

(3) سورة الأنعام ـ الآية: ٩٥.

لا تنتج حبة القمح إلا قمحاً ولا بذرة البلوط إلى شجرة البلوط، ورغم ما بين النبات من تشابه، فلكلٍ صفاته وخواصه المميزة، ولكن التربة واحدة والماء واحد، وفي النهاية يخرج كل منها ثمره الخاص به.

﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(١).

فمن الذي قدر وأوجد تلك القوانين العديدة التي تتحكم في وراثة الصفات.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾(٢).

وسوف يقودنا هذا السؤال إلى سؤال آخر أشد تعقيداً أو أكبر عمقاً، وهو من أين جاءت النباتات الأولى.

﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(٣).

من التعقيدات الطريفة في هذا الكون، ما نشاهده من العلاقات التوافقية بين الكائنات.. ومن أمثلتنا: العلاقة الموجودة بين فراشة اليوكا ونبات اليوكا، فزهرة اليوكا تتدلى إلى أسفل ويكون عضو التأنيث فيها أكثر انخفاضاً عن عضو التذكير، أما الميسم وهو الجزء من الزهرة الذي يتلقى حبوب الطلع، يكون على شكل الكأس. وكل من الأعضاء الذكرية والأنثوية داخل الزهرة. (كما أسلفنا).

ولا بد أن تنتقل هذه الحبوب بواسطة فراشة اليوكا، فتجمع هذه الفراشة كمية من حبوب اللقاح من مُتكُ الأزهار التي تزورها وتحفظها في فمها الذي بني بطريقة خاصة لأداء هذا العمل. ثم تطير إلى نبات آخر من نفس النوع وتثقب مبيضها بجهاز خاص في مؤخر جسمها وتنزل البيض.

(١) سورة الرعد ـ الآية: ٤.
(٢) سورة الزمر ـ الآية: ٦٣.
(٣) سورة النمل ـ الآية: ٦٤.

لورنس كولتون ووكر ـ عالم نبات وفيسيولوجيا

أستاذ علم الغابات بجامعة جورجيا

لكي يدرك الإنسان روعة هذا العالم وما وراءه من جلال الحكمة والتدبير، لا بد أن يدرس بدقة وأن يتأمل ما يدور في الغابات والحقول، وسوف يجد أن ما كان يعده طبيعياً ليس إلا إعجازاً إلهياً يعلو فوق مستوى البشر وتعجز العقول عن إدراك كنه.

يقول كارل هايم «إن عجائب الكون تدعو الناس إلى الإيمان، وإن الاستدلال بالكون على الله قد عاد إلى الظهور من جديد في عصر النهضة والتفكير العقلي بسبب انهيار النظرية الآلية في تفسير الكون.

﴿ . . . سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾[1].

تظهر في جبال أديروندال رمال عميقة، والتربة الحامضية في هذه الأماكن ضعيفة بسبب نقص بعض العناصر الغذائية وبخاصة عنصر البوتاسيوم، وكانت تنمو على هذه السهول غابات من أشجار التنوب الفضي والصنوبر والشوكران، ولكن سهولة طبيعة الأرض فوق هذه السهول أغرت باقتلاع هذه الأشجار وزراعة الأرض.

وبعد مائة عام استنزفت عناصر التربة وأضعفت خصوبتها إلى حد كبير ولذلك شرع في زراعتها بأشجار الغابات من جديد، وبعد مضي سنوات قليلة ظهرت أعراض نقص البوتاسيوم في التربة على الأشجار والأوراق.

لوحظ أن الأشجار الصنوبرية التي تنمو جوار القان لا يرى عليه أعراض نقص البوتاسيوم، والقان الأبيض عشب ينمو من تلقاء نفسه.

أثبتت تحاليل التربة والأوراق أن نسبة البوتاسيوم قد عادت في التربة بعد نمو القان الأبيض.

---

(١) سورة الأنبياء ـ ٣٧.

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾[1] .

وبذلك تجلت معونة الله لنا وما أودعه من نظام بديع في معاونتنا على إصلاح الأخطاء التي كان الإنسان سبباً في حدوثها .

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[2] .

إن الطبيعة لا تعرف الإسراف، إنها دائماً صائبة، ولكن الطبيعة عبارة عن مجموعة الأشياء التي لا تعقل ولا تخطط . . . فهناك من يخطط ويدبر لها .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ . . . ﴾[3] .

هذا مثال من أمثلة عجيبة وبما لا يحصيها عد، فالكون منظم غاية التنظيم مما أطلق عليه هجلز «نظرية كمال الكون» . . . ليس هناك تناقض بين العلوم والدين والله . . . الذي قدر كل شيء فأحسن تقديره، وما نعلم حتى الآن إلا القليل .

﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾[4] .

لقد وضعت نظريات عديدة، لكي تفسر لنا كيف نشأت الحياة من عالم الجمادات فذهب بعض الباحثين إلى أن الحياة قد نشأت من البروتوجين أو من الفيروس أو من تجمع بعض الجزئيات البروتينية الكبيرة .

ولكن الواقع الذي ينبغي أن نسلم به، هو أن جميع الجهود التي بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية، قد باءت بخذلان وفشل ذريعين .

﴿ . . . قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[5] .

* * *

---

(١) سورة الحجر ـ الآية : ١٩ .

(٢) سورة الروم ـ الآية : ٤١ .

(٣) سورة الروم ـ الآية : ٢٥ .

(٤) سورة الملك ـ الآيات : ٣ ـ ٤ .

(٥) سورة الإسراء ـ الآية : ٨٥ .

تعقيب على ماجاء في الفصل

البحوث العلمية التي قام بها هؤلاء العلماء، والتي أوصلتهم إلىٰ وجوب وجود إله قوي قادر مدبر . . . ، لم يكن يقصد من وراء إجرائها إثبات ذلك، فغاية العلوم هي البحث عن خفايا الطبيعة واستغلال قواها (وهذا ما صرح به أحد العلماء المذكورين في الفصل)، لكنها مشيئته ـ سبحانه ـ أن يكون إيمان البشر قائم على العلم والمعرفة والاقتناع، بما جعلهم مختارين في دنياهم (حسب الآيات المذكورة سابقاً).

الإله الذي عرفوه من خلال بحوثهم وحصيلة علمهم، ليس هو الذي في التوراة الحالية بعدما حرفت وصارت دنيوية، والتي جاء فيها: «يصارع يعقوب الإله فيصرعه، ويقول له الإله أطلقني لقد طلع الفجر، فيجيبه يعقوب لا أطلقك حتى تباركني، فباركه الإله وسماه إسرائيل» سفر التكوين ٣٢/ ٢٤ (والأمثلة التي تدل على التحريف كثيرة).

أيضاً هو ليس الإله كما تصوره الأناجيل الحالية على صورة إنسان يأكل ويشرب و . . . ، فأوصلوا الناس في الغرب إلىٰ حالة اللادين ورفض أي فكرة تتعلق بالدين.

فهل يترك الخالق هؤلاء البشر دون هدايتهم . . . يتخبطون ولا يهديهم ؟ وهو ـ سبحانه ـ الذي يهدي الشعرة في جفن العين الأعلى فتنحني إلى أعلى بينما أختها السفلى تنحني إلى أسفل، والشعرة في الحاجب تعلم أنها في الحاجب بتقدير الله فيهديها إلى حجم معلوم وطول معلوم فلا تنمو، بينما أُختها في الرأس تستمر في ذلك النمو.

* * *

﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾(١)

يقول الحق سبحانه:

---

(١) سورة الأنعام ـ الآية ٦٧.

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ ﴾[1].

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ ﴾[2].

ما دام كل شيء هالك إلا وجهه، فمعنى هذا أن كل شيء كان حياً وإن لم ندرك له حياة.

أثبت العلم أن هذه الطاولة وذاك القلم عبارة عن ذرات تتحرك ببرنامج منظم ومنسق.

يقول «ستانلي ألدر» في كتابه (البعد الخامس)... العلم يقر: إن الذرة والخلية أو قطعة المعدن أو النبات أو الحيوان كلها تتنفس وتميز، وتتأثر بالأشعة.

وقد أثبتت تجارب العالم الهندي (شندرايوز) وحدة الأحياء والجماد وحتى النبات، كلها لها شعور وهي تنبض بالحياة. فهي تُسبح كما قال جل جلاله.

ويستخدم العلماء (عداد جيجر)[3] فيرون نبضات الإشعاع لقياس حركة الأشياء، ويرون نبضات الإشعاعات كدقات القلب، بالغة أقصى الدقة والأحكام.

وفي نبأ ثانٍ: يقول الحق سبحانه:

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[4].

يخبرنا القرآن أن الله ـ عز وجل ـ جعل كل المخلوقات الحية زوجين. وفي الآية «كل شيء» فيها شمول أكثر من الإنسان والحيوان والنبات كما أسلفنا، ... إنها تشمل الجماد أيضاً.. فهل الجماد زوجين.

في النصف الأول من القرن العشرين، كان أحد الفيزيائيين الإنجليز اسمه «ديراك» يقوم بأبحاث على معادلات الالكترونات. وبعد عدة سنوات من أعماله

---

(١) سورة الإسراء ـ الآية: ٤٤.

(٢) سورة القصص ـ الآية: ٨٨.

(٣) الموسوعة البريطانية الجديدة.

(٤) سورة الذاريات ـ الآية: ٤٩.

وجد قرين الالكترونات. . . لقد اكتشف أن له كتلة تساوي كتلة الالكترونات السالبة ويحمل شحنة موجبة. أي أن لكل جسيم قريناً أو زوجاً.

ومما يذكر أن الفيزيائي المسلم «محمد عبد السلام» الباكستاني الجنسية الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٧٩. قام بأبحاث هامة في موضوع الجسيمات وقرائنها.

صرح بعد حصوله على الجائزة أن الآية ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ كانت بمثابة إحساس خفي وإلهام قوي له وذلك أثناء أبحاثه على قرائن الجسيمات المادية.

فقد فهم هذه الآية فهماً شاملاً ينطوي بين كلماتها حقيقة وجود أزواج كما في مملكة النبات والحيوان والإنسان، وأُطلق على هذه الظاهرة اسم «إنتاج الأزواج».

فكلما تقدم العلم، واتجهت البشرية، ووصلت إلى نقطة. . . وعرفت حقائق في فرع من فروع العلم، وجدت القرآن قد ذكر تلك الحقائق، وذلك بعد رحلة طويلة وبحث عميق، وإمكانيات توفرت لم تكن للسابقين، وعرفوا عندئذ أن هذا العلم الذي جاء في القرآن قد جاء بعلم الله سبحانه.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[(١)].

نبأ آخر: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا. . .﴾[(٢)].

الآية تطابق أحدث النظريات التي ارتقت إلى مستوى المشاهدة المؤكدة بعد مراقبة النجوم البعيدة[(٣)] (وهذا ما سنوضحه في الفصل الثالث). إنها النظرية السديمية التي تقول أن أصل الكواكب والشمس سديم عظيم من الغاز والغبار أو الدخان انكمش ثم انفصل لتكوين هذه الأجرام.

أما ﴿مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا﴾ فلها دلالات إعجازية أهمها أن الأرض هي الكوكب الوحيد الذي به ماء. . . والعلماء عندما يرصدون أو يريدون أن يعرفوا أن

---

(١) سورة ص ـ الآيات: ٨٧ ـ ٨٨.

(٢) سورة الأنبياء ـ الآية: ٣٠.

(٣) دائرة المعارف الفرنسية صفحة ٢٦٨٣.

كوكباً ما به حياة يبحثون إن كان به ماء أم لا .

الأمر الثاني : لو قال الحق سبحانه جعلنا من الهواء كل شيء حي ـ وهذا ممكن أن يخطر بالبال زمن تنزيل القرآن الكريم[١] . . . ـ لكان قد هُدم الإيمان بالقرآن والإسلام . . إذ يوجد جراثيم لا هوائية وهي حية لا تحتاج للهواء[٢] .

كذلك إشارة تذكر بأن بقاء الماء على الأرض لا يتأتى إلا إذا كانت الأرض على مسافة «حرجة» من الشمس ، فبعد الشمس عن الأرض هو حساب علوي محسوب بدقة .

﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾[٣] .

فلو ابتعدت الأرض قليلاً لتجمد كل شيء ، أو لجفت أو احترق كل شيء لو اقتربت .

* * *

قضية الخلق محسومة لله سبحانه وتعالى لأنه هو وحده الذي أقر أنه خلق ، ولم يأت أحداً أو تجرأ على أن يدعي أنه الخالق .

فلا يوجد شيء صغير اخترعه البشر في الدينا ، إلا وحرص صاحبه على الإعلان عن نفسه .

فإذا كان ذلك الذي اخترع المصباح الكهربائي قد حرص على أن يعرف العالم كله اسمه وتاريخه وقصة اختراعه ، أيكون الذي أوجد الشمس غافلاً عن أن يخبرنا أنه هو الذي خلقها ، وإن كانت هناك قوة أخرى قد أوجدت أفلا تعلن عن نفسها؟

﴿ . . . أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾[٤] .

---

(١) وهذا واحد من الردود على بعض ما قاله أعداء الدين أن القرآن ترشح من قريحة سيدنا محمد ﷺ .

(٢) ومن هذه الجراثيم ما أخبرني بها طبيب أسنان بالصدفة عندما قال لي أن الجراثيم التي تسبب التهاب الأسنان جراثيم لا هوائية ، لا تحتاج إلىٰ هواء لتكون حية .

(٣) سورة الرحمن ـ الآية : ٥ .

(٤) سورة الرعد ـ الآية : ١٦ .

وقد يدعي بعض العلماء أنهم حسنوا أو استنبطوا أنواعاً جديدة، نقول. . . كل هذا لا ينفي أن الوجود الأول لله، وأنهم استخدموا ما خلق الله بالعلم المتاح من الله ـ عز وجل ـ، فلا يوجد اكتشاف أو اختراع علمي من عدم. (كالاستنساخ مثلاً هذه الأيام) حيث أن المواد المستخدمة من خلق الله، وجميع هذه العمليات تجري بحسب سنن الله (عز وجل).

* * *

نختم الفصل بقول جميل للداعية الشيخ متولي الشعراوي[١]: غير المؤمن يقول: أنا سيد نفسي، نقول: جسدك ملك لله ـ عز وجل ـ، وهو يفعل به ما يشاء إلا ما يجعلك فيه مختاراً، وإذا لم تصدق فانظر إلى جسدك.

القلب ينبض، فهل أنت الذي تجعله ينبض؟ وهل تستطيع أن توقفه قليلاً ليستريح، هو ينبض وأنت نائم مسلوب الإرادة. وكذلك التنفس.

إنها حركات تتم بالقصر لا سلطان لك عليها، لو أن قلبك يخضع لإرادتك كيف يمكن أن تنام.

إن الله سبحانه وتعالى أقام لنا الدليل على أنه حتى حركاتنا الاختيارية لا تتم إلا بقدرته.

مثلاً، إذا أردت أن تقوم من مكانك، كم عضلة تنقبض، وكم عضلة تنبسط، فنحن لا ندري أي العضلات تتحرك وأيها لا يتحرك.

بل وأكثر من ذلك تحدياً ما جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾[٢].

الضحك والبكاء من الله، وكونه من الله سبحانه يكون لجميع خلقه بالعدل، فإذا نظرت في الخلق تجد أن الضحك والبكاء موحدان بين البشر، فلا توجد ضحكة إنجليزية وضحكة فرنسية و. . ولا يوجد بكاء آسيوي أو إفريقي أو . . فهي موحدة،

---

(١) «الآيات الكونية» للشيخ محمد متولي الشعراوي.

(٢) سورة النجم ـ الآية: ٤٣.

إلا إذا اصطنعت فقد تختلف. ويمكنك أن تميزه عن ذلك الانفعال الطبيعي الذي يأتي من الله.

الإنسان لا يستطيع أن يضحك أو يبكي نفسه عن شعور صادق. فالإرادة البشرية منعدمة حتى في هذه.

فكيف إذا جاءك قدر المرض أو قدر الموت... فامنعه عن نفسك إن استطعت. وإن جاء قدر الله أن تسقط من مكان فقل لن أسقط.

الفصل الثاني

علماء الغرب ومفكروه.. ما الذي وجدوه في الإسلام

الآن.. وبعد أن أوضحنا للقارى العزيز بعض الذي جعل هؤلاء العلماء والمفكرين يتوجهون باهتمام إلى الإسلام بعد طويل دراسة وبحث واطلاع على كل الأديان والحضارات والثقافات.. لنا أن نتساءل ما الذي وجده هؤلاء في الإسلام..

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾(١).

رغم ما يتعرض له الإسلام، الهجمة تلو الهجمة، فهو باقٍ ديناً وفكراً وحضارة إنسانية ليقود العالم إلى الخير الذي ارتضاه الله للناس.

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ... ﴾(٢).

نعم.. الغرب متقدم علينا بالعلم المادي والتكنولوجيا ومظاهر الحياة المادية والسيطرة.. ولكن هذا كله لا يقدم حضارة إنسانية.. فهي إلى زوال وفناء.. وستدمر الإنسان وتحطمه من الداخل إذا لم تلتزم بمنهج الله ـ عز وجل ـ. (وهذا ما سيوضحه لنا هؤلاء العلماء والمفكرين في هذا الفصل).

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾(٣).

يقول الدكتور عباس محمود العقاد: لولا حروب أثينا وأسبارطة وحروب روما وفارس.. لما سمع «ديموس» بشيء يسمى الديمقراطية ولا رضخ «الديمقراطيون» المتأخرون بشيء لذوي المعاول والمناجل أو لذوي الألوان المجندين للمصانع والمعسكرات.

لكن في شرع الله ـ عز وجل ـ ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾(٤).

إن لهو القسطاس المستقيم الذي يقيم للإنسانية حقوقاً وشريعة وديناً.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ ﴾(٥).

---

(١) سورة التوبة ـ الآية: ٣٣.
(٢) سورة يوسف ـ الآية: ١٠٨.
(٣) سورة سبأ ـ الآية: ٦.
(٤) سورة الحجرات ـ الآية: ١٣.
(٥) سورة الشورى ـ الآية: ١٧.

الدكتور روبرت كرين [فاروق عبد الحق][1]

حصل الدكتور على شهادة الماجستير في الأنظمة القانونية المقارنة من كلية الحقوق في جامعة هارفارد. شارك في تأسيس مركز الدراسات الاستراتيجية الدولية ١٩٦٣.

كان من أكبر مستشاري الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون في السياسة الخارجية.

من هواياته الركض لمسافات طويلة وتسلق الجبال.

يتقن: الانكليزية ـ الألمانية ـ الروسية ـ الاسبانية ـ الفرنسية ـ العربية.

يقول عن سبب إسلامه (في مقابلة له): عندما كنت أعد نفسي كي أصبح كاهناً شعرت بنوع من الإلهام يجتاحني، وأدركت أن إلهي هو الله سبحانه وتعالى. وبعدها تعلمت المزيد عن الإسلام والمسلمين.

رأيت في الإسلام ديناً واضحاً ومفهوماً، ويتمتع الإسلام بتوازن جيد بين التوجيه الروحي والعملي والفكري. بل إن التعاليم الروحية للإسلام في الحياة هي أعمق من أية تعاليم في الديانات الأخرى.

الإسلام يشدد على أداء الواجب في الحياة، ويشدد على نشر العدالة وتعزيزها. كما يشدد على الحاجة لتوجيه كل شيء في حياة الإنسان وحتى الروحية بواسطة العقل والفكر.

كنت أذهب إلى الكنيسة الكاثوليكية وأصلي ولكني كنت اسأل الكاهن، بل العديد من الكهنة، بما في ذلك الأسقف.. لمن أصلي؟... للأب أم للإبن أم للروح القدس؟!.

---

(١) في حوار له مع الدكتور يحيى العريضي (الإعلامي السوري المعروف) ومن كتاب لـ «روبرت كرين» لماذا أسلمت ؟

وكان الجواب من الجميع . . . لا تفكر . . فأقول لهم : ولماذا وهبني الله العقل إذا كان علي أن لا فكر .

وحتى أذن الله . . . عرفت الإسلام الحقيقي على أساس العقل والخبرة الشخصية الروحية، وعلى أساس معايشة الإسلام في التطبيق العملي .

مما يحزنني . . أن معظم المسلمين في العالم . . . متدينون، ولكنهم لا يفهمون حقيقة الإسلام .

للإسلام أهدافٌ ساميةٌ وقيمٌ عليا وهي بدورها ترشد الفقه، هاك ستة منها :

واجب احترام الحياة والعائلة والمجتمع والمساواة في حق الوصول لملكية الأراضي، وحق الكرامة بما فيه المساواة بين الجنسين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، وحرية الديانة والعقيدة، وحرية التعبير والمعرفة .

إن الغربيين ينظرون إلى هذه الأهداف السامية، كمجموعة قوانين لحقوق الإنسان، أما المسلمون فينظرون إليها كمجموعة قوانين للمسؤوليات، لأنك إذا لم تحترم مسؤولياتك، فلن يتمتع أحد بحقوق .

في الإسلام، الحاكم والمحكوم مسؤول أمام الله ـ تعالى ـ وفي الغرب عندنا مفهوم «الدولة»، ويعني هذا أن الدولة هي الملك المطلق، ولا يوجد إله أو شرع، ومن يسيطر على الدولة يتمتع بالقدرة على عمل ما يشاء .

تكلم عن أحدث كتاب للرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون وعنوانه «ما وراء الإسلام» . . هذا الكتاب يقول: إن أية حضارة مهما بلغت من المجد فمآلها إلى الهلاك إن لم تكن روحانية .

مثال . . الديانة اليهودية . . عندما تخلى هرتزل (مؤسسة الحركة الصهيونية) وآخرون عن العنصر الروحي، واختلقوا ديانة جديدة هي الصهيونية، التي لا تعبد الله، بل تعبد البشر والأرض . . . أدى ذلك إلى المزيد من الأزمات والظلم والانهيار .

لقد أنشأت الحضارة الإسلامية الأسلوب العلمي كطريق لالتماس الحقيقة، وقد استعار الغرب من الإسلام الأسلوب العلمي، دون إطار العمل . . . ودون الروحية،

فكان أسلوباً للسعي وراء القوة، ولكن ماذا بعد ذلك؟.

المسيحية. . . لم تبدأ بمناقشة مظالم الدنيا إلا مؤخراً، بينما عادل الإسلام منذ بدايته بين تصوره لما سيكون عليه حالنا بعد الموت، وبين ما يمكننا تحقيقه في الحياة الدنيا.

نحن في أمريكا. . . لن يكون بوسعنا إتمام الثورة على الأوضاع المتردية إلا بإدخال المبادى الإسلامية عليها المتمثلة في حقوق الإنسان بغية دعم المتمسكين بدينهم من الأديان المسيحية واليهود من الحفاظ على التعاليم السامية الموجودة عندهم.

يخاطب الرئيس نيكسون بعض أعضاء في الكونغرس: يجب أن تنظروا إلى أي مسألة من وجهة نظر ما هو خير لأمريكا، وما هو مفيد، والإسلام طبعاً هو أعظم حليف لأمريكا في بحثها عن خيرها.

قواعد الصراع الأولى لم تتغير، وهو عيب معظم مناهج السياسة الأمريكية، في حين أن كل تعاليم الإسلام تدعوا إلى نبذ أي صراع أو تصادم بين الحضارات.

وأورد الدكتور روبرت آية من القرآن الكريم: ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾[1].

وتابع: هذا هو التصور الإسلامي، وهو مضاد تماماً للتصور الذي لا يرى في الآخرين إلا تهديداً يجب القضاء عليهم جميعاً.

نرجع للرئيس «نيكسون»[2] (دون النظر إلى أفعاله) يقول: لقد كان القرن العشرين فترة صراع بين الغرب والعالم الإسلامي، وإذا عملنا معاً فنستطيع أن نجعل من القرن الواحد والعشرين، ليس فقط عصر سلام، بل قرناً فيه ما وراء السلام، فهما حضارتان عظيمتان سوف تغني إحداهما الأخرى، وكذلك بقية أنحاء العالم.

وعندما سؤل الرئيس نيكسون (في مقابلة له مع أحدىٰ الصحف الأمريكية): ماذا تريد بالإضافة إلى القوة والازدهار القوميين ـ أجاب: الديموقرطية والرأسمالية هما مجرد أساليب فنية، ما لم يوظفهما من يسعون لها نحو هدف أسمى من أجل أنفسهم

---

(١) سورة الحجرات ـ الآية: ١٣.

(٢) «ما وراء الإسلام» ريتشارد نيكسون.

ومن أجل المجتمع، ولكن أؤكد لكم أن: «عدونا اليوم في داخلنا، وما يهدد العالم أن بلدنا قد يكون غنياً بالبضائع ولكننا فقراء في الروح».

فالتعليم والتربية الرديئان والجرائم المتزايدة، والعنف المتصاعد، والانقسامات العرقية النامية، والفقر المستشري وآفة المخدرات، والثقافة المنهارة في وسائل التسلية، والانحدار في تأدية الواجب المدني والمسؤولية القومية، وانتشار الفراغ الروحي ساهمت جميعاً بفصل الأمريكيين عن بلادهم ودينهم وعن بعضهم البعض.

وتحدث الدكتور روبرت عن «برجنسكي» وسيكون هذا الموضوع الثاني من هذا الفصل.

«زبنغنيو برجنسكي» وزير خارجية أمريكا الأسبق(١)

كان مستشار الرئيس كارتر وأصبح وزير خارجية أمريكا في عهد نيكسون نورد رأيه في الإسلام (بغض النظر عن مواقفه وأعماله رغم ما شهد له بالذكاء والحكمة والأخلاق).

أكد «برجنسكي» في البداية على الحاجة إلى نهضة روحية لأن عدم وجود الروحانية في أمريكا سيجعلها تفقد مكانتها الأخلاقية في العالم مما سيقضي على حضارتها.

وبرجنسكي ـ مما أكسبه المصداقية وشهرته كمتنبئ بالتغير الحضاري أنه تنبأ في السابق بسقوط الشيوعية.

ومما قاله في سقوط الشيوعية... أن ذلك يعود إلى الثورة الروحية التي أخذت بالانتشار في الاتحاد السوفيتي، حيث اكتشفت مجموعة الفقراء والفلاحين أن لا شيء يستحق الموت لأجله، لم يكن لديهم هدف في حياتهم، وهذا ما جعلهم يفكرون ويشعرون بأن شيئاً ما ينقصهم. وانتشر هذا الشعور بين أفراد المجتمع بسرعة كبيرة. وهو الآن يحذر من أن نفس القدر قد يصيب التجربة الأمريكية.

وللمرة الأولى... إحدى الصحف الأمريكية الواسعة الانتشار واسمها: «New Quarterly Perspectives» وفي إصدار خاص لها... قدم «برجنسكي» ما يسمى بـ «عقيدة برجنسكي» والتي تؤمن بأن المجتمع المنغمس في الشهوات لا يستطيع أن يسن قانوناً أخلاقياً للعالم، وأن أي حضارة لا تستطيع أن تقدم قيادة أخلاقية سوف تتلاشى.

وقدم لهذا الاصدار بمقال افتتاحي تحت عنوان «روح النظام العالمي» يوحي في مقاله أن «روح الإسلام» قد تصبح قريباً روح القرن والواحد والعشرين، وقد تكون العلاج الوحيد للمشاكل المستعصية والتي سببتها علمانية الحضارة الغربية.

---

(١) جاء ذكره في الحوار الذي دار بين الدكتور روبرت كرين والدكتور يحيى العريضي.

أضاف محرر هذه الصحيفة «ناثان جارولز» أنه ربما ساعد الصدام مع الدين الإسلامي على إيجاد عصر «ما بعد العلم» في الغرب والذي يفسح المجال ثانية إلى عودة قيم الإسلام في التوازن والاعتدال والتبصر.

وفي ختام حديثه «الدكتور روبرت كرين» قال: أراد الله أن يكون الإسلام القوة العالمية البارزة ـ وليست المسيطرة ـ في القرن الواحد والعشرين.

قلة الذين يدركون هذا التغير في العالم... إن كل الوجود دائم التغيير من أجل غاية يريدها الله ـ عز وجل ـ، المسلمون يعلمون أن صعود الحضارات وأفولها هو جزء من الخطة الإلهية.

ولقد بدأ كثير من مفكرين الغرب البارزين بإدراك ذلك، فهم يخشون من أن حضارتهم تقترب من نهايتها، والبعض يتنبأ بأن الإسلام، هو القوة الحضارية التي بدأت تحل محل حضارتهم. ومنهم من بدأ يدرك أن تلك القوة العالمية يمكن أن تكون جزءاً من انقاذ كل حضارات العالم.

أخيراً يقول الدكتور: التركيز على العدل واضح في القرآن وسنة النبي ﷺ، فالعدل هو الناظم الصحيح لحياة الفرد خاصة وللمجتمع عامة، وهذا يتعلق بالجهاد الأكبر والجهاد الأصغر أيضاً.

هذا العنصر الفكري الذي ينادي به الإسلام يروق لي ويعجبني، فبدونه لا يستطيع المرء شق طريقه كما رسمه الله ـ تعالى ـ له.

ولقد فشلت المسيحية بمخاطبة مجتمعها المتداعي لعدم امتلاكها استراتيجية متماسكة تجمع كامل عناصر الدين العالمي من روحانية وعمل، ومن عقل يقود الاثنين معاً: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة ـ الآية: ١٢٩.

الفنان «دينيه»[1]

المستشرق الفرنسي

أحد المستشرقين الذين أرادوا دراسة فن التراث العربي الإسلامي بحكم اختصاصه.

ذهب إلى الجزائر وعاش فيها فترة من حياته.. اطلع على الإسلام ثم درسه فاعجب به ثم أعلن إسلامه.

كان واحداً من القلة القليلة الذين أرادوا معرفة الحق دون أن يكون له أي غاية من الغايات التي درس لأجلها المستشرقون الدين الإسلامي بغية تشويه صورته المشرقة.

لقد أعجب بذلك التشريع الهائل الذي لم يجتمع مثله لجميع الأمم في جميع العصور.

أثبت في كتاباته أن الفقه الإسلامي فقه مستقل بذاته وليس مستمداً من أي فقه آخر.

أعلن ذلك بعد دراسة مستفيضة في الثقافات العالمية والحضارات السابقة، حيث روج قسم كبير من المستشرقين المدسوسين لفكرة أن الفقه الإسلامي وتشريعاته لا يمكن أن يصدر كله عن محمد الأمي ﷺ وكانت هذه عقيدتهم التي لازمت حياتهم، فهم ـ كما يقول الفنان دينيه ـ يعترفون بعظمة التشريع وفي الوقت نفسه لا يستطيعون أن يعترفوا بمصدره الإلهي.

لقد برهن على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين وأن المسيحيين بجميع طوائفهم واليهود لم ينعموا بممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية كما في ظل سيطرة المسلمين على البلاد وكانوا يقومون بكافة أعمالهم التجارية

---

(١) «أشعة خاصة من نور الإسلام» ناصر الدين دينيه (اسمه بعد إسلامه).

وغيرها بدون أي ممانعة أو اضطهاد ويتقلدون أحياناً أعلى المناصب الرفيعة وأتى بالوثائق والحقائق التي تثبت ذلك، ولم يذكر فيها حادثة إلا أرجعها إلى مصدرها. وكان دليله بقاء ملايين المسيحيين واليهود في العالم الإسلامي منذ ١٥٠٠سنة حتى الآن.

يقول: إن العالم المسيحي حتى الآن لم يفهم مع الأسف الإسلام على حقيقته بسبب الدعاية المشوهة الرهيبة التي قام بها أعداء الإسلام خلال مئات السنين وما زالت حتى الآن تحاربه. ولكن هذا لم يزد الإسلام (دين الله تعالى) إلا قوة وانتشاراً.

لقد جاء الإسلام للإنسانية جمعاء، وتنكر للعنصرية، وهو يؤمن بكافة الأنبياء والرسل والكتب السماوية الأصلية.

بينما أبادت محاكم التفتيش باسبانيا المسلمين بأعداد كبيرة، وما تبقى منهم أجبروا على الدخول في الديانة المسيحية، وكذلك فعلوا باليهود اللذين فر منهم أفواجٌ إلى بلاد المسلمين، حيث وجدوا الأمان والمعاملة الإنسانية العادلة. ولم يذكر التاريخ أبداً حصول أي اضطهاد أو اعتداء على غير المسلمين أو أي إكراه على الدخول بالدين الإسلامي.

هذه المعاملة الإنسانية السامية هي الحضارة الحقيقية بعينها، لأن الحضارة ليست تكنولوجيا فقط، بل أخلاق وسمو روحي وعدل وإنصاف ورحمة وتسامح وأورد الآيتان:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾(١).

﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾(٢).

الإسلام لم ينتشر بالسيف كما يقولون وهو ليس دين الخوف، بل هو دين الحب والصفاء وحب الغير المتأصل بالعقيدة بالله، وكان الفتح الإسلامي جهاداً في سبيل

---

(١) سورة البقرة ـ الآية: ٢٥٦.

(٢) سورة الممتحنة ـ الآية: ٨.

الله، لنشر الإسلام والدفاع عن المظلومين ونشر شرائع الله وحقوق الإنسان في البلاد الجديدة.

تسمى الفنان «دينيه» باسم «ناصر الدين دينه» بعد إسلامه.

ألف مع عالم جزائري كتاباً عن سيرة الرسول ﷺ. وله كتاب «أشعة خاصة بنور الإسلام» بين فيه تحامل قومه على الإسلام وأهله.

توفي هذا المستشرق المسلم في فرنسا، ونقل جثمانه إلى الجزائر ودفن فيها.

روجيه غارودي[١]

الفيلسوف الفرنسي

كان عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي ـ حيث كانت الشيوعية في تلك الفترة الحل الوحيد الذي يطرح بديلاً للخروج من أزمة الرأسمالية.

انتسب كمسيحي بروتوستانت... كان أبواه ملحدين، اعتنق المسيحية لما وجد فيها من المبادى الإنسانية.

كان يبحث عن الحقيقة مع أمله في المشاركة في حلول للأزمات الإنسانية وظلت هذه الخصال معه بعد ذلك طوال حياته، مما يؤكد أن سفينته عندما رست على بر الإسلام كانت برغبة عارمة منه للبحث عن الحق.

أعلن إسلامه عام ١٩٨٢ بجنيف، تعرض لحملة من الإشاعات بسبب صدور كتابه الأخير «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» وذلك لحصاره وتنفير المسلمين منه ليخسر التأييد المعنوي، فيسهل التخلص منه.

يقول: «لا شك في أن في مقدور الإسلام السيطرة على الأزمة الحضارية والانحلال في المجتمع الغربي، بفضل تشبثه بوحدانية الخالق وبوحدة العقيدة والعمل».

يعتبر الفيلسوف غارودي بمثابة ميزان حي... قد امتلئت إحدى كفتيه بالفلسفة والتاريخ ومعرفة الحضارات ومقارنة الأديان، وبالكفة الأخرى يضع دراسته لعقيدة الإسلام وتاريخه وحضارته ونظمه...

فلسفته نتاج معاناة، ومعايشة للأحداث، كافح مع الشيوعية، ظناً منه أن المذهب الماركسي سيؤدي إلى تحقق العدالة والسعادة، ولكنه تخلى عنه عندما

---

(١) «الإسلام دين المستقبل» روجيه غارودي.
«نصف قرن من البحث عن الحقيقة» روجيه غارودي، إعداد الكاتب محمد عثمان الخشت.

أصيب بخيبة أمل في هذا المذهب وتطبيقاته.

لقد اكتشف على ضوء الأحداث التي مرت بها أوربا أن الاشتراكية لا تمثل العدل المطلوب وأيضاً الكنيسة لم تحقق الأمل الكبير في تحديث الدين كما قرر البابا جون الثالث والعشرون. وهنا قال غارودي: «والآن بدا لي الإسلام مثل حامل إجابة على أسئلة حياتي».

الإسلام لا يفصل بين علم الحكمة وحكمة الوحي، ولم يفصل البحث في الأسباب عن البحث في الغايات... وبهذا الأسلوب يصبح العلم في خدمة تألق الإنسان، وليس تحطيمه بإثارة رغباته وتسلط مجموعات أو قوميات عليه.

يسمح الإسلام بوضع مشكلة العلاقات بين العقيدة والسياسة، دون أن يخلطهما مع العلاقات بين الكنيسة والدولة... مثلما حدث بشكل كبير في أوروبا وبخاصة في فرنسا.

ترى الحضارة الغربية الاكتفاء بمفهوم «المدينة» اليونانية عوضاً عن القومية حيث يعتبرون (الآخرين) برابرة خلقوا للاسترقاق.

أيضاً موضوع أن الإسلام أخضع الشعوب بالسيف[1] ـ أو القوة المسلحة ـ يلتبس على القائلين بهذا، بسبب طبيعة الغزوات الأوربية الكبرى على أمريكا وافريقيا، فيخلطون بينها وبين انتشار الإسلام.

هذه الغزوات كانت تتمتع بتفوق عسكري مطلق، قوامه المدفع والرشاش بينما لم يكن يملك المسلمون في ذلك الوقت ما يملكه الفرس والبيزنطيون. أصحاب السلطان في العالم حينذاك من أسلحة وفنون حربية... فأين هي أسباب القوة والتفوق العسكري، حيث ساد المسلمون ما يقارب كل العالم المعروف حينذاك.

أما أسباب إسلام غارودي:

أسباب عقائدية: تتمثل في كون الإسلام يقدم تصوراً معقولاً ومتكاملاً للكون والإنسان والحياة.

---

(١) محاضرة «حوار الحضارات» ألقاها في الإسكندرية ٢١/ ٣/ ١٩٨٣.

أسباب تشريعية: تتمثل في كون تشريعات الإسلام وقوانينه تلائم طبيعة الإنسان والحياة ملاءمة تامة، فضلاً عن أنها تحوي من أسباب التقدم ومقوماته ما لا تحويه أي تشريعات أو قوانين أخرى، فقد قدم القرآن دستور للحياة والعمل.

الحقيقي هو الله قطعاً. . وكل شيء يبدو غير حقيقي إذا نُظر إليه أو أدرك بمعزل عن اتصاله بالله. الإسلام يرفض كل فصل بين العلم والعقيدة، فكل ما في الطبيعة شاهد على وجود الله، لذا كانت كل معرفة للطبيعة عن طريق العلم نوعاً من الصلاة ولوناً من ألوان القرب من الله.

الدين الإسلامي يوجه المسلم صوب «الأمر بالمعروف» وصوب تحقيق التعاون بين الناس وسياسة أمور الدنيا لأن الإنسان حسب القرآن هو خليفة الله على الأرض، فعلى عاتقه تقع مسؤولية تحقيق التوازن والانسجام في الطبيعة والبشر على حد سواء.

وهكذا لا ينفصل الاقتصاد والسياسة والعلوم والفنون عن العقيدة، والحياة في جميع أبعادها تجد وحداتها في الله.

الإسلام ينظر إلى الإنسان لا على أنه كيان منعزل، بل على أنه جزء من كل. ككل شيء في الطبيعة (وحدة الخلق تدل على الخالق الواحد).

هذه العلاقة ليست كما وردت في المفهوم «الفاشي» من أنه لا قيمة للفرد ولا معنى له ولا كيان إلا بانتسابه إلى الدولة.

إن هذه العلاقة (بين الفرد والمجتمع في الإسلام) ليست كذلك علاقة وظيفية اجتماعية تعين لكل فرد مهمته لتجعل من الإنسان كائن مجزء كأنه سجين لنظام آلي أو اقتصادي أو سياسي يسلبه إنسانيته ويعمل على سحقه.

وهذا يجنب الوقوع في شكليات نظام التسلسل في المناصب، ولا يؤدي إلى اضطهاد الإنسان للإنسان.

يعطي القرآن للمرأة حق التصرف بما تملكه[1]، وهذا الحق الذي لم يؤخذ به في

---

(١) جارودي: لماذا أنا مسلم، مقال بمجلة لوموند الفرنسية، وترجم إلى العربية ونشر بجريدة الأخبار ٩/ ٨/ ١٩٨٣ في القاهرة.

معظم التشريعات الغربية، ولا سيما فرنسا إلا في القرن العشرين، وصحيح أن للذكر مثل حظ الانثيين في مجال الإرث مثلاً، لكن كل الالتزامات والأعباء تقع على عاتق الذكر، كما يعطي القرآن للمرأة حق طلب «الطلاق» وهذا الحق لم تنله المرأة في الغرب إلا بعد ثلاثة عشر قرناً.

يرى الإسلام في التجارة أمراً مشروعاً إذ تلبي الحاجات الضرورية، لكن ممارستها لا بد أن تهتدي بتعاليم الإسلام. وهذا يستتبعه توزيعاً عادلاً للعائدات ورفضاً للاحتكارات التي تخفي الأسعار الحقيقية للتكاليف.

عام ١٩٥٦ كانت صدمة «غارودي» بالماركسية وفي «ستالين» وجرائمه صدمة شديدة جعلته يرفض الماركسية الجامدة، ورفض الإنسان كما قدمته الفلسفة الوجودية الملحدة، حيث تجعلان من الالتزام (حسب النظرية الاشتراكية) بالمجتمع وبالفكر الاشتراكي إلزاماً حديدياً صارماً.

علم غارودي من خلال دراسته للواقع أن: الأنظمة قد تشكل بنجاحها خطر أكبر من فشلها. سواء الاشتراكية التي تضطهد شعبها، وتستغل العالم الثالث وتتسابق إلى التسلح الرهيب والسيطرة وخاصة شعارات ستالين ومن بعده خروتشوف التي تركز على حتمية اللحاق بالرأسمالية، أو الرأسمالية التي تعزز الاستعمار والحروب والأزمات الداخلية المميتة.

وكلا النظامين لا يعطيان للنمو أي أهداف إنسانية حقيقية. فلم يحدث قط أن جاع هذا العدد الكبير من البشر. . . فثلثا الإنسانية من الكائنات البشرية يعانيان من سوء التغذية ونقص الحاجات الأساسية. . ولكنه يرجع إلى الاستعمار الجديد، توأم الرأسمالية الجديدة، التي تفرض على بلدان العالم الثالث أسعاراً بالغة التدني للمواد الأولية التي يبتاعها منها وأسعاراً بالغة الارتفاع للتجهيزات التي يبيعها إياها.

وغارودي يدعو لتغير البنى. . ، لا رأسمالية، ولا بيروقراطية تقنية ستالينية، ذلك أن تغير الوضع الحقيقي للملكية لا يضع نهاية لاستلاب الشغيلة، إذ اقتصر الانتقال من الملكية الخاصة إلى ملكية الجماعات أو ملكية الدول، لأن القائمين على الملكية الجديدة قادرون على ممارسة الاستلاب السياسي ضد الشغيلة.

الاقتصاد في الغرب لا يعني سوى الانتاج والاستهلاك كهدفين لذاتهما. بينما

لا يهدف الاقتصاد في ظل النظام الإسلامي إلى النمو لذاته، ولكن إلى التوازن، مما يستبعد أقل تشابه مع الرأسمالية، فالاقتصاد الإسلامي عني بالسوق التي هي إحدى دعائم الاقتصاد توجه من أجل إرضاء الحاجات الحقيقية، ويؤخذ من ذلك التوازن في توزيع الدخل والحيولة دون الاحتكار، أي أن السوق ليست غاية، وإنما هي إحدى الوسائط.

ألقى محاضرة في باريس بعنوان «هل يدخل الإسلام هذه الديار» قال: أيها الأوروبيون قد جربتم الشيوعية وجربتم الرأسمالية و . . . ، فلم تجدوا مخرجاً، وأنا أقول لكم: لا تتكبروا فتحرموا النعمة، إن المخرج لكم من كل مشاكلكم وقضاياكم في الإسلام، إن نجاة البشرية في هذا الدين.

مارسيل بواسارد[1]

كاتب وسياسي سويسري

يقول في كتاباته: الإسلام ليس فقط ديناً ينظم علاقة الإنسان بخالقه، وإنما هو في الحقيقة نظام اجتماعي ثقافي سياسي متكامل ينظم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، كذلك ينظم علاقة الإنسان بالمجتمع والدولة أيضاً. فالإسلام ليس فقط مجرد دين، بل هو دين عصري يلائم العصر الحديث، كما كان يلائم عصر نزول القرآن الكريم.

في مقدمة كتاباته يعرف لنا الإسلام بأنه اختيار إرادي وحر. وهو عبارة عن أخلاقيات ومنطق. وبكلمة أخرى يقول الكاتب: «الإسلام أعطى الإنسان مكانة ومركزاً في المجتمع. وهو دين قادر على الإجابة على جميع التساؤلات، كذلك هو اتصال بين الخالق والمخلوق. وأخيراً هو خضوع بكل ثقة وإيمان إلى الإرادة الإلهية التي لا يمكن اعتبارها نوعاً من العبودية.

يقول أيضاً: إن الإسلام لم يأخذ بعد صبغته الحقيقة في بعض بلدان القارتان الأفريقية والآسيوية، وهذا طبعاً يعود إلى قصور المسلمين أنفسهم في نشر حقيقة دينهم بالطرق الصحيحة، فالدين الإسلامي ليس بالدين الجديد، فهو مزين بذكرى ماضيه المجيد وحقيقته الحية.

إن الإسلام دين يؤمن بالأديان الكتابية وأنبيائها، وأن محمداً ﷺ هو آخر الأنبياء والرسل، أيضاً هو رجل دولة صريح وسياسي قوي الإرادة كذلك هو رسول الله.

ثم ينتقل الكاتب إلى القرآن فيقول: «هو أساس الدين الإسلامي وقانونه. ثم هناك الأحاديث النبوية التي جاءت لتشرع بعض أحكامه، فالقرآن ليس فقط مجرد كتاب مقدس ينظم العلاقة بين الإنسان وخالقه، ولكنه معجزة حقيقية تظهر حقيقة الدين الإسلامي... كدين لكل العصور.

---

(١) «لم أسلم هؤلاء» للكاتب محمد عثمان عثمان ١٩٩٦.

ففي القرآن نجد دائماً الإجابة على كل تساءل قد يتوارد على ذهنك، سواء أكان يتعلق بالقانون أم الشرع، أما بالعلاقات الاجتماعية أو العسكرية، حتى يصل إلى النظم المالية والميراث، فالقرآن دستور دائم، يعطي لقارئه الأمن والأمان.

ويوصف الإسلام بأنه دين الوحدة، تتمثل في صلواته الخمسة يومياً، حيث تتحد أنظار حوالي ألف مليون مسلم في التوجه صوب الكعبة، في أوقات محددة، وشهر رمضان الذي يبرز عظمة الإسلام وجلاله، والحج ذلك الموقف الذي تذوب فيه كل الطبقات والجنسيات والشعوب والألوان.

يقول أيضاً: لقد احترم الإسلام حقوق الإنسان وحددها، ووضع لها أساساً وواجبات والتزامات، ثم حدد كذلك واجبات وحقوق الفرد تجاه الجماعة، وفي المقابل حقوق وواجبات الجماعة تجاه الفرد، وإن الإسلام هو نظام قائم على العدل وحرية التصرف.

ففي كل أمة تبرز آراء القرآن وآياته كأساس للحكم وفلسفة للعالم «فالإسلام نظام خلقي وهو عدل اجتماعي لمجتمع فيه الكثير من الحرية والإيمان والعدل والمساواة».

القس إبراهيم فيلوبوس[1]

أستاذ كلية اللاهوت بمصر

حاصل على الماجستير من جامعة برنستون الأمريكية ـ تخرج من كلية اللاهوت والعلوم ١٩٤٨ يقول: كنت أقوم بتدريس الإسلام والمغالطات والافتراءات الشائعة التي يرددها أعداؤه والمبشرون ضده وقد رأيت في هذه الفترة أن أوسع دراستي لكل جوانب الإسلام، وأن أدرس القرآن بتعمق وكان هدفي من هذا كله أن أصبح متمكناً من مادتي وأضيف إلى حجج المبشرين ضد الإسلام حججاً جديدة.

ولكن كانت النتيجة عكسية فقد بدأ موقفي يهتز وبدأت أشعر بصراع داخلي بيني وبين نفسي، واكتشفت أن ما درسته من قبل وما كنت أبشر به كله زيف وكذب.

وفي مؤتمر تبشيري في فندق (كتراكت) بأسوان دعيت للكلام فيه وتكلمت وأوردت كل المطاعن المحفوظة ضد الإسلام، وبعد أن انتهيت من كلامي عاودتني أزمتي الداخلية وعدت أسأل نفسي لماذا أقول هذا وأفعله وأنا اعلم أنني كاذب وأن هذا الذي أقوله ليس هو الحق.

وخرجت متجهاً إلى بيتي وأنا في الحديقة استمعت ساعتها آية ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[2] وحتى قوله ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾[3].

عدت إلى بيتي وقضيت الليل أقرأ القرآن ومن الآيات التي أثرت بي . . . ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ

---

(١) «الاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبريالية العالمية» ـ إبراهيم فيلوبوس.

(٢) سورة الجن ـ الآيات: ١ ـ ٢.

(٣) سورة الجن ـ الآية: ١٣.

عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[1].

وفي تلك الليلة اتخذت قراري ولقيت بعدها ما لقيت وفي آخر المطاف عرضت عليّ الكثير من المغريات من كبار الشخصيات المسيحية. . . قالوا لي: كيف تترك دينك قلت لهم: إن الإسلام هو الذروة الدينية التي أرادها الله للإنسانية كافة وأنتم تعرفون ذلك.

أصدر الحاج إبراهيم خليل أحمد (اسمه الجديد) حتى الآن عدة كتب تكشف عن حقائق الإسلام ومن أساليب المبشرين والمستشرقين ضده ومنها: ١ ـ محمد في التوراة والإنجيل والقرآن. ٢ ـ المسيح إنسان لا إله. ٣ ـ الإسلام في الكتب السماوية. ٤ ـ المخطط التبشيري والاستعمار.

ويختم الحاج حديثه الذي اختصرت منه كثيراً بقوله: (وعموماً لو أردت أن أتحدث عما وجدته في الإسلام لاحتاج الأمر لمجلدات أتحدث فيها عن هذا الدين العظيم).

---

(١) سورة الأعراف ـ الآية: ١٥٧.

مارك ديفيد شليفر

صحفي أمريكي ـ من يهود نيويورك(١)

كان من بواكير حياته محرراً في مجلة موجهة إلى الهيبز ـ تلك الجماعة التي واجهت الحياة المادية الغربية بمزيد من التحلل والتدهور الأخلاقي ـ وبعدها بسنوات سافر إلى المغرب.

خلال إقامته بالمغرب أطلع على كثير من أمور الدين الإسلامي وتعجب عندما وجد المسلمين يحيون سنة إبراهيم ـ عليه السلام ـ بذبح الأضحية وتوزيعها على الفقراء. وعندما عاد إلى أمريكا كان قد تعلم الكثير عن الإسلام، الدين الذي تفوق على ديانته اليهودية، ففي الإسلام الصدق مع الذات والآخرين ما لم تتوفر في اليهودية وأتباعها وفيه من القيم النبيلة ما يندر أن يكتشفه أحد في ديانة أخرى، مما يجعله حضارة متطورة تكسب مجتمعها تماسكاً وهو ما لاحظه في المجتمعات العربية من احترام الصغير للكبير والخشوع الذي يلف الجموع حين تمر جنازة أو يرفع صوت المؤذن مؤذناً للصلاة.

عندما عاد إلى بلاده لم يشعر بالراحة النفسية هناك، لأنه اعتاد خلال تواجده في المغرب أن يرى مجتمعاً يعيش في جماعة لا تنفصل روحياً عن بعضها بل كان الحب يغمرهم والمحبة تصقلهم، حيث يتبادل الناس بعضهم البعض التحيات دون سابق معرفة.

بينما في نيويورك يرى وجوهاً يعلوها الاكتئاب كل مشغول بنفسه عن أخيه راكضين ليل نهار كالبهائم دون أن يكون لأحدهم هدف حقيقي صالح. فكانت هذه الموازنة سبباً ليتوجه ديفيد نحو دين الله وأن يوصل البحث نحو الوصول إلى الحقيقة.

يذكر أنه في أحد الليالي أحس بنوع حاد من الاكتئاب والتفكير والقلق وبلا وعي

---

(١) عن القبس الكويتية الاثنين ٥/ رمضان/ ١٣٩٦. العدد ١٥٤٠.

منه وجد نفسه يفتح نسخة انكليزية لمعاني القرآن الكريم ووقعت عيناه على سورة الإخلاص تلك التي تلخص جوهر عقيدة الإسلام في كلمات قليلة، كبيرة المعنى.

أحس سليمان عبد الله شليفر (اسمه الحالي) بضرورة اتقان اللغة العربية كي يقرأ القرآن بعدما أيقن أن ترجمة معاني القرآن لا تفي بما يحمله القرآن الكريم من معانٍ جليلة وقيم سامية وبيان.

البروفيسور سليمان الذي يرأس حالياً قسم الإعلام بالجامعة الأمريكية بالقاهرة يؤكد في كل مناسبة أن أشد ما جذبه إلى دين الله موائمته للفطرة والعقل وكونه الدين الوحيد الذي لا يضع شروطاً ولا يجعل للإيمان أبواباً مغلقه عليها حراساً أو كهنه، بل يؤكد في كل حرف من حروف كتاب الله ـ جل جلاله ـ، أن أبواب الرحمة مفتوح أمام كل قلب يؤمن بالله الواحد الأحد وبرسوله الأمين محمد ﷺ قال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾[1].

(١) سورة الزمر ـ الآية: ٥٣.

ليون روش[1]

البروفيسور الفرنسي

ندبته الحكومة الفرنسية ليكون جاسوساً على الأمير عبد القادر الجزائري وأوعزت إليه أن يتظاهر بالرضا عنده ونجح في ذلك وأقام في ديار الإسلام ثلاثين عاماً تعلم في أثنائها اللغة العربية وفنونها والإسلام وعلومه.

بعدما عرف عن الإسلام ما عرف أتت النتيجة عكس ما اشتهت الحكومة الفرنسية فقد أصبح ذلك الجاسوس من أشد المحبين للإسلام والقرآن وله كتب عديدة عن ذلك.

يقول: وجدت هذا الدين الذي يعيبه الكثيرون منا أفضل دين عرفته... فهو دين إنساني يناسب طبيعة البشر، واقتصادي وأدبي... ولا أذكر شيئاً من قوانينا الوضعية إلا وجدته مشروعاً فيه، بل عدت إلى الشريعة التي يسيمها (جول سيمون) الشريعة الطبيعية فوجدتها كأنها أُخذت عن الشريعة الإسلامية أخذاً.

ثم بحثت عن تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة ووداعة وجمالاً وكرماً بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف في عالم لا يعرف الشر واللغو والكذب.

فالمسلم بسيط لا يظن بأحد سوءً، هو لا يستحل محرماً في طلب الرزق ولقد وجدت في الإسلام حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم.

الأولى: في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2] وهذا أجل ما طالبت به الاشتراكية.

الثانية: في فرض الزكاة على كل ذي مال فائض وتحويلها إلى الفقراء.

---

(١) «ثلاثون عاماً في الإسلام» ليون روش.

(٢) سورة الحجرات ـ الآية: ١٠.

إن الإسلام دين المحامد والفضل ولو أنه وجد رجالاً يعلمونه الناس حق التعليم ويفسرونه أحسن التفسير لكان المسلمون اليوم أرقى العالمين وأسبقهم في كل ميدان.

فريضة الزكاة ـ مثلاً ـ التي جاء بها الإسلام هي الدواء الناجع لما يصيب المجتمعات من أحقاد وكوارث اقتصادية وفقر وحرمان وليس هو وحده الذي تحدث عن هذا الأمر، إنما هناك علماء ومفكرون آخرون يؤمنون بهذه القضية، فهذا العلامة «ماسينيون» يقول: (يحتل الإسلام مكاناً وسطاً بين نظريات الرأسمالية والبورجوازية ونظريات البلشفية والشيوعية، فالحياة الاقتصادية في الإسلام حياة تراحم وتعاون وتكافل ورحمة وحياة إنسانية لها مثلها العليا، التي تستمدها من رسالتها وعقيدتها بينما في النظرة الرأسمالية والشيوعية على السواء حياة صراع وتقاتل وسيطرة واستعباد وصراع تحترق فيه وتفنى كافة القيم العليا لتبقى قيمة واحدة هي قيمة الرأسمال الفردي. وبذلك نجد الرأسمالية تنظر إلى الإنسان كسلعة وتنظر الشيوعية إليه كآلة مسخره وينظر الإسلام إلى المادة كشيء مسخر لخدمة الإنسان.

كذلك «جيمس متيسيز» يقول: لقد اتهم الإسلام في هذا العصر بأنه يخلو من التفكير الاقتصادي، بل اتهم بالرجعية الرأسمالية وسر اتهامهم له الجهل بالإسلام، ونظمه وروحه ورسالته وتعاليمه السمحة.

لقد جاء الإسلام في كافة نظمه وتشريعاته دعوة تحررية من الجمود والضعف والرجعية والمادية والعقلية، فهو توازن وتعادل، لقد جاء في نظامه الاقتصادي بقوانين تحقق التعاون بين الطبقات في ظل المحبة، كما تكفل بالتطور الهادف للمجتمعات.

القس: ألم ولد قرقس[1]

التحق بالدراسات الخاصة بعلم اللاهوت... مارس واجباته الكنسية بكفاءة وإخلاص وأصبح رئيساً للشباب المسيحي في الحبشة.

كان من العادات الروتينية في عمله أن يقدم له سكرتيره من حين لآخر مجموعة من الأوراق لدراستها قبل نقاشها مع كبير القسس، وكعادته صباح أحد الأيام دخل السكرتير ومعه مجموعة من الأوراق، كان من بينها ورقة من كتاب مقدس قديم عثر عليها في مخزن الكنيسة وتصفح كعادته الأوراق وتوقفت عيناه مذهولتين أما جملة قرأها في الورقة التي تعود إلى عصور قديمة كان مكتوب عليها: (رسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فاتبعوه)... كان الأمر خطيراً فالورقة تهدم كل ادعاءات القسس والرهبان وتكشف التحريف الحاصل في الأناجيل التي اعتمدوها.

وما كان من القس (ألم ولد قرقس) إلا أن حمل الورقة الكنز التي وجدها إلى القس الأكبر. سائلاً إياه تفسيراً لها، واضطرب كبير القسس أمام هذا الدليل، وبلهجة آمرة خاطب القس الشاب، لا تقرأ مثل هذا الكلام فهو غير سليم والذين كتبوه من علماء النصرانية، كان علمهم بسيطاً ولا يعرفون شيئاً ولا نعترف بقولهم.

وفي يوم من الأيام رأى في منامه أنه خارج من بئر عميق وهو يصعد من البئر لمح كتابة لم يفهم كنهها... سأل عن هذا المنام من حوله من الأصحاب فلم يقتنع... حتى سأل صاحباً له من المسلمين اشتهر والده ـ وهو إمام مسجد ـ بمقدرته على تفسير الرؤيا... وطلب منه الإمام كتابة الرسم الذي رآه وما كاد يكتبه حتى علت صيحة والد صديقه... أتدري يا ألم ما يعني هذا الرسم... إنها: لا إله إلا الله، أبشر بها فإنها دليل هدايتك إلى طريق الحق.

بدأت قناعته بالمسيحية تهتز... لا سيما أنه رأى بأم عينه كيف يستغل المنصرون ظروف المجاعات وحاجة الفقراء لإجبارهم على دخول المسيحية ومدى

---

(١) عن مجلة المجلة العدد ٧٨٩ ـ ٢٦/ ٣/ ١٩٩٥.

التناقضات بين ادعاء الكنيسة أن البشر متساوون وتعاونها بالتشجيع والتأييد للنظم العنصرية التي تفرق بين جنس وآخر.

الإسلام يعلمنا أن هذا الإله الأوحد له دين واحد لا غير وهو الإسلام وهذا يؤدي إلى الوحدة في الاعتقاد ولا يدع مجالاً للفرقة والخصام بين الناس إنه الدين الحقيقي.

يذكرنا بـ: «مالكوم أكس» الأمريكي... يقول: شاع بين السود المسلمين بعض الأفكار الخاطئة.. أن الرجل الأبيض لا يدخل مكة لأنه شرير في ذاته ولكني في زيارتي لمكة المكرمة، قابلت وخالطت رجالاً ذوي عيون زرقاء وبشرة بيضاء فأعجبت كثيراً، واتضح لي أن اللون لديهم لا يزيد عن كونه صفة عرقية، وعندما عاد إلى أمريكا بشر بروح الإخاء الإسلامي ومعاداة الإسلام للتعصب بكل أشكاله.

الإسلام ليس ديناً للسود أو للبيض، فالإسلام برهن على أنه الدين الوحيد الذي نجح في جمع البشر من كافة الألوان والأجناس واللغات والعروق في مجتمع واحد متناسق متكاتف، يكفي أن نعرف أن عمر بن الخطاب عندما دخل بيت المقدس بصحبة خادمه لم يستطع أحد أن يميز الخليفة من خادمه حتى سألوا.

وهذا «مايك تايسون» الملاكم العالمي الذي عاش في نيوريوك حياة قاسية وفقر، ترك أبيه المنزل وأدىٰ به لأن يتجه إلى سلوك منحرف وكان يعتدي على زملائه في المدرسة حتى طرد منها، ولم تنفع معه مواعظ المشرف الاجتماعي أو القس في علاج سلوكه المنحرف.

كبر وأصبح ملاكماً عالمياً ولكنه بقي عنيفاً فساءت علاقاته الاجتماعية، واتهمته إحدى الفتيات بالاعتداء عليها فدخل السجن.

وفي السجن اطلع على رواية الجذور لـ «أليكس هيلي» وعرف منها ديانة أجداده المسلمين وأصله الأفريقي الحقيقي، أراد أن يقرأ شيئاً عن الإسلام.

وحين بدأ يقرأ أحس بقلبه ينقبض بعنف، عند ذلك لانت مشاعر تايسون الذي كان قاسياً في أخلاقه قبل إسلامه، حيث أدت قراءاته عن الإسلام إلى إكسابه روحاً إنسانية جديدة تريد الخير وتكره الشر وتضع العنف جانباً.

يقول مالك عبد العزيز (كما سمى نفسه): درست القرآن الكريم ووجدت فيه الإجابات على كل الأسئلة عن الحياة والموت.

شيء آخر هو أن كل فرد يتقرب إلى الله تعالى مباشرة وبلا وسيط، وذكر أديب فرنسي كتب عن فساد رجال الدين المسيحي لأنهم لا يخدمون الدين بل السلطة.

ويحدثنا ألم قرقس عن «برخات كاستي» حيث ترك ارتيريا وهام في الصحراء وحده تاركاً أسرته، كان يهرب من الجوع والجفاف والحرب وبعد عشرة أيام وصل إلى معسكر الهلال الأحمر السعودي وبقي فيه عامين كاملين... كان يجد المسؤولين بالمعسكر يعطفون ويساعدون كل اللاجئين ولم يشعر أنه غريب بالنسبة لهم أو بالنسبة للاجئين المسلمين بالرغم من أنهم يعرفونه مسيحياً. (عكس ما كان يحصل في معسكر الصليب الأحمر).

وبدأ يتعرف على الإسلام والقرآن وهكذا كانت المعاملة الحسنة والسماحة سبب من أسباب إسلامه.

نيل آرمسترونغ[1]

رائد فضاء أمريكي

أول رائد فضاء يهبط على القمر، يحكي قصة إسلامه فيقول: منذ عدة سنوات عندما كنت في زيارة إلى القاهرة ـ ضمن جولة لي حول العالم ـ في أحيائها الشعبية، سمعت آذان الظهر ينطلق من الجوامع... فأصابه الذهول وتساءل وسط دهشته البالغة عن هذا الصوت... فأجابه مرافقوه وهم متعجبون من ذهوله.. إنه صوت المؤذن الذي ينبه المسلمين إلى الصلاة.

ولم يجبهم واستمر في ذهوله الشديد وبعد أيام ألقى (بقنبلته) وأعلن لكل من حوله في صراحة ودون تردد.

إن كلمات الآذان التي رنت في أذنيه دون أن يفهمها هي الكلمات نفسها التي سمعها عند هبوط قدميه لأول مرة على سطح القمر.

وعقب عودته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عكف على دراسة الدين الإسلامي دراسة كاملة وعرف قواعد الدين بالتفصيل وفي النهاية أعلن إسلامه.

وكان من نتيجة هذا الموقف الذي أعلنه أن فصل من عمله ولكنه قال: «فقدت وظيفتي ولكنني وجدت الله».

---

(١) قصة إسلامه نشرت في الجرائد الماليزية ونقلته عنها الصحف التي تصدر في سيلان. ترجم إلى العربية في مجلة حضارة الإسلام.

عشرون ألف بريطاني أشهروا إسلامهم[1]

أعلنوا هذا في المدة الأخيرة لاقتناعهم بأن الدين الإسلامي هو القادر على حل كل القضايا والمشاكل التي تواجه الفرد والأسرة والمجتمع بواقعية وبعيداً عن الزيف.

والجدير بالذكر أن أكثر معتنقي الدين الإسلامي في بريطانيا هم من العلماء والأطباء وكبار المثقفين الذين عرفوا الإسلام بطريقة علمية من خلال الأبحاث والدراسات والكتب العلمية والثقافية (وهذا ما سنراه بالتفصيل في الفصل الثالث من الكتاب).

ومما قالوه: الحملات الإعلامية الشرسة التي تشن ضد الإسلام ظلماً وعدواناً أعطت مردوداً عكسياً لخلوها من الصدق والموضوعية.

فاتجه الكثير نحو اعتناق الإسلام حيث وجدوا فيه ما يبحثون عنه من رعاية الأسرة واحترام المرأة وبناء المجتمع العادل وأن الإسلام نبذ العنصرية والعنف الدموي ويحارب الجريمة والإباحية والانحرافات المؤدية إلى تدمير القيم الأخلاقية وانهيار المجتمع.

وانتشار الإسلام في بريطانيا وغيرها من بلدان العالم في هذا العصر بالذات يدحض ويفند مزاعم الغرب وادعاءاته الباطلة بأن الإسلام انتشر بحد السيف خاصة وأن معظمهم ممن يدرسون التنصير والمبادى اللاهوتية وهؤلاء جميعاً لهم وزنهم في المجتمع. مما قالوا: ميزة التشريع الإسلامي أنه وضع ليلائم طبيعة البشر الخطائين لا الملائكة المعصومين.

---

(١) (لِمَ أسلم هؤلاء؟) للكاتب محمد عثمان عثمان.

العلامة الكونت هنري دي كاستري[١]

كنت ضابطاً، ذات يوم أجوب جوف الصحارى في ولاية حوران، وأنا أتأمل الطبيعة الساحرة وإذ بصوت خشن ينادي (الآن وقت صلاة العصر)، هناك ترجلت الفرسان واصطفوا الصلاة العصر مع الجماعة (وصلاة الجماعة مفضل عند الله)، أما أنا فقد ابتعدت عنهم وكنت أود لو انشقت الأرض وابتلعتني، أحسست أن أولئك الفرسان الذين كانوا يتدانون أمامي يشعرون في صلاتهم بأنهم أرفع مني مقاماً وأعز نفساً.

فما أجمل منظر هؤلاء القوم في نظامهم لصلاتهم وخشوعهم وكم شعرت بصغر نفسي أمام أولئك القوم وقد ذكروني بما ورد في التوراة من ذكر لأولئك المصلين في هيئتهم وصفاتهم وأنهم من أبناء إسماعيل.

ورحت بعدها أكتب في الإسلام غير شاعر بما يخطه القلم طوع الفؤاد وأخذت أبحث في دين الإسلام وتوجهت إلى المساجد فوجدت فيها نوراً وجمالاً وبسطة تشرح الصدور فأخذت أدرس هذا الدين فراعني جماله وبهجته.

من بعض ما قاله: نشر القرآن جناحيه خلف جيوشه الظافرة، ولم يترك المسلمون أي أثرٍ للعسف في طريقهم... إلا ما كان لا بد منه في كل حرب... فلم يبيدوا قط أمة أبت قبول الإسلام.

فكان من وراء محاسنة المسلمين (حسن معاملتهم ومجاملتهم) للأمم المقهورة.. أن انتشر الإسلام بسرعة وعلا قدر رجاله الفاتحين لما سبقه من ظلم أباطرة المملكة الرومانية الشرقية (وهي مسيحية) والتي بغضها الناس وكرهوا الحياة في ظلها.

فما عارض العرب المسلمون أبداً شعائر الدين المسيحي، بل بقيت روما نفسها حرة في مراسلة الأساقفة في مختلف البلاد الإسلامية.

وأيضاً المسيحيون في بلاد الأندلس صاروا في حالة أهنأ من التي كانوا عليها أيام خضوعهم لحكم قدماء (الجرمانيين).

الإسلام... لم يكره أحد على الأخذ به بالسيف أو باللسان بل دخل القلوب عن حب واختيار ورضى.

---

(١) «أوروبا والإسلام» عبد الحليم محمود.

الانجليزي عبد الله كويلم

أثناء زيارته للجزائر رأى أهلها يتوضؤون ويصلون فسأل عن ذلك فعلم أن هذا من قواعد الدين الإسلامي فدهش.

قال: يا عجباً إن هذا الوضوء خمس مرات في اليوم لهو نصف اغتسال... (وهذا ما جعله يدرس هذا الدين).

إن هذه النظافة هي الصحة بعينها وسلامة الجسم والأطباء يجعلون هذا أول علامة على قوة الأجسام وسلامة العقول ومن تنشيط لأطراف الحواس بتحريك الدم عند نهاية الأطراف. وبين فوائد الاغتسال والصلاة والصوم عند رجوعه لبلاده وأنها توافق مقتضيات علوم الصحة الحديثة. إن بعض السجناء ـ غير المسلمين ـ قد امتنعوا عن تناول المشروبات والمأكولات التي يحرمها الإسلام وترتب على ذلك تغيير في سلوكهم مع اعتدال صحتهم. وتبين أن معنوياتهم تحسنت وكانوا قادرين على مواجهة مشاكلهم النفسية.

ومعظم من أجري عليهم هذا البحث أعلنوا إسلامهم عندما رأوا النتائج.

وأضاف أن المواد المخرجة من السبيلين (البول والبراز والافرازات) من أقذر المواد وأخطرها لذا كان ما جاء في الإسلام من الأمور الحتمية. النهي عن قضاء الحاجة من بول وبراز في الماء الذي يستعمله الناس في وضوئهم واغتسالهم وسائر شؤونهم وفي طريقهم الذي يمشون فيه وفي الظل الذي يستظلون وموارد المياه وفي الشوارع والترع والقنوات.

وأورد قول الرسول ﷺ: «**اتقوا الملاعن الثلاث البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل**».

(وأطلق عليها الرسول ﷺ الملاعن لأنها تسبب لعن من يفعلها، وهذا ما ثبت طبياً، مما يولد أمراضاً وبائية عديدة).

له عبارة مشهورة: «لو لم يكن في الإسلام سوى غسل الجنابة لكفى»[1].

---

(١) مجلة نهج الإسلام العدد ٤٧ عام ١٩٩٢ ص١٢٢.

﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾[1]

على الرغم من قلة جهود المسلمين (مادياً ومعنوياً) فإن الإسلام ينتشر ويختلط بشاشة قلوب الناس.

الغرب بنظامه ومدنيته الظاهرين لم يعطيا السعادة للإنسانية والإنسان.

الإسلام دين المستقبل وهذا ما يتوقعه الكثير من مفكري العالم اليوم، نظرا إلى إفلاس سائر النظريات والفلسفات الأرضية، وعجزها عن هداية الإنسان إلى طريق السعادة الحقيقية.

إليك أقوال لبعض العلماء والفلاسفة والمستشرقين والمفكرين الغربيين نوردها باختصار شديد في هذا السياق:

العلامة **ميكالا أغناطيوس**: (لا شك أن الإسلام سوف يكون نهاية المطاف لكل طالبي الحقيقة في هذا العالم).

العلامة **جوزيف شاخت**: (أرى الإسلام هو المظلة التي سيركن إليها الهاربون من زيف العصر المادي).

آرثر هاملتون: (لو توخى الناس الحق لعلموا أن الدين الإسلامي هو الحل الوحيد لمشاكل الإنسانية).

أنطوني كوين[2] ـ الممثل العالمي ـ: (أحسست أن الإسلام قوة غير عادية بعد أن درست الإسلام وشخصية عمر المختار، وجدت القيمة والسخاء والعطاء والقوة، والناس ينقصهم أن يتعرفوا عليه وعلى تعاليمه).

أدوار هنري: (سيظل الإسلام نوراً يسطع على البشرية ما دام هناك ناس يؤمنون به ويحفظون كتابه ويسيرون على تعاليمه. هو الدين الذي لم يترك شاردة ولا واردة إلا جاء بها، أفخر أن صرت مسلماً).

---

(١) سورة الرعد ـ الآية: ١٧.

(٢) إعجازات حديثة / الدكتور رفيق أبو السعود.

سير هاملتون جيب: (أظن بل وأعتقد وأرى رأي العين والقلب والعقل أن الإسلام في طريقه ليحتل مكانته اللائقة في هذا العالم وأرجو أن أحيا لأرى هذا اليوم).

بارتولد: الكاتب الروسي الشهير الذي بلغ عدد مؤلفاته ٤٠٠كتاب ومنها كتابه حضارة الإسلام يقول في أبحاثه المختلفة: (من يرى حضارة الإسلام القديمة المتميزة يتأكد له بأن الإسلام بحضارته وتعاليمه سيظهر قيمته الحقيقية في المستقبل).

فرانشسكو كوديرا ـ الكاتب الإسباني الذي أسلم ـ: (الإسلام قادم رغم كل العقبات لكنه في حاجة إلى دعاة حقيقيين يقدمون تعاليمه بالحب والعمل).

نهرو جواهر لال ـ زعيم الهند: (عرفت الإسلام من أبي وصديقه غاندي وشعرت أن الإسلام هو خلاص العالم من كل الشرور التي تحيط به لكن الحرب على الإسلام ستظل قائمة).

جورج برناردشو ـ الكاتب البريطاني الشهير: (إن هذا الدين العظيم سيسود العالم ذات يوم، وإنه قريب مقبل إذا ما وجد الفرصة لانتشاره ليتعرف العالم عليه بلا تعصب). (ولا شك أن الإسلام ونبي الإسلام استطاعا أن يجعلاني أقف باحترام شديد للرسالة ورسولها وتمنيت دائماً أن يكون الإسلام هو سبيل العالم، فلا منقذ له سوى رسالة الإسلام. فهو الدين الوحيد الذي يلوح لي أنه صالح لأطوار الحياة المختلفة بحيث يكون جذاباً لكل جيل).

أرجو أن تفهموا نبوءتي... فالإسلام قادم ليصبح العالم به في حب وسلام فقد دخل وما يزال يدخل في الإسلام كثرة هائلة من بني قومي ومن الأقوام الأخرى حتى ليمكن أن يقال أن تحول أوربا إلى الإسلام قد بدأ).

دزموند ستيوارت ـ الباحث في تاريخ الشرق الأوسط الحديث: (إن الإسلام يستطيع دون مدافع حديثة أو خطوط برق أن يكون في القرن التاسع عشر قوة لا تقاوم كما كان في القرن السابع).

بورت سميث: (إني مصمم على الاعتقاد أنه سيأتي يوم يتفق عليه القوم وزعماء النصرانية الحقة على أن محمداً نبي الله ورسوله).

مرماديوك باكتوب: (إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في الدنيا الآن بنفس السرعة التي نشروها سابقاً إذا رجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا

بدورهم الأول لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع أن يقف أمام روح حضارتهم).

الأستاذ فانسان مونتيه ـ الأستاذ بجامعة باريس في مقال «لماذا وكيف أنا مسلم»: (لقد وجدت الإسلام دين الفطرة والبساطة والوضوح، حيث لا أسرار ولا ألغاز أو تأليه بشر.

الإسلام دين التسامح وهو يدفع إلى الأخلاق العليا والكرامة الإنسانية، وهو دين الحق والعدل والمساواة والحرية والعقيدة الصافية.

لامارتين ـ الأديب والشاعر الإفرنسي ـ: الرسول محمد ـ وثب على خرافات أمته وجاهلية شعبه وبأسه وإيمانه وإعلاء كلمته لتثبيت أركان العقيدة الإسلامية، فهذا دليل بأنه على الحق، فهو رسول وشرع دينه يهدي الإنسان إلى العقل والروح.

بسمارك ـ موحد ألمانيا وقائدها الحديدي يقول: لقد تدبرت وتأملت ودققت الكتب السماوية التي يدعى أنها واردة من اللاهوت: فما وجدت فيها إلا التحريف والخلو من الحكمة. وإن تلك القوانين ليست مؤهلة بحيث تؤمن السعادة البشرية.

ودققت في القرآن من كل جهة ومن كل نقطة، فوجدت في كل كلمة منه حكمة عظيمة، ومن ادعى أن هذا القرآن ترشح من قريحة محمد فقد أغمض العين عن الحقائق والعلم والحكمة.

فيا محمد، إنني متأثر جداً من أني لم أكن معاصراً لك، إن الكتاب الذي أتيت به ليس من قريحتك، وإنكار أُلوهية منزِّله هراء، إني أعظمك بكل احترام، راكعاً في حضورك المعنوي.

المؤتمر الدولي للقوانين المنعقد بلاهاي: إن الشريعة الإسلامية تحمل العناصر الكافية التي تجعلها صالحة للتطور مع حاجات الزمن والمدنية.

مؤتمر الأديان الدولي المنعقد بنفس البلد: يقر بصلاحية الإسلام لكل العصور.

ختاماً نورد ما جاء في كتاب «من يحمي المسيحيين العرب» لـ«فيكتور سحاب»[1] حيث يذكر فيه بعض الحوادث التاريخية التي تتحدث عن تسامح الإسلام والعرب:

---

(١) من الكُتاب السوريين المسيحيين الكبار.

كانت أهم فترة اضطهاد للمسيحيين إبان الدولة البيزنطية، إذ اضطهدت هذه الدولة الآراميين والأقباط المسيحيين لمغايرة عقيدتهم المسيحية للعقيدة الرسمية، فقد لوحق الرهبان حتى تخوم الصحارى السورية والمصرية، وفي مجزرة واحدة قتلت الدولة في مصر مائتي ألف قبطي، وعندما فتح العرب مصر كان الإكليروس القبطي مختبئاً في الصحارى هرباً من التصفية الجسدية. وبمجيء الفتح الإسلامي عادت الكنيسة المصرية إلى حريتها الكاملة علناً.

ونشبت في أفاميا (قرب مدينة حماة) مجزرة أخرى، هي مذبحة رهبان دير مارون التي ذهب ضحيتها مئات من الرهبان الخلقيدونيين، ولم تتوقف المجازر إلاّ عند ظهور الإسلام على البلاد، وقيام معاوية على الحكم في ولاية الشام.

أما المؤلف «أدمون رباط»[1] فيقول: أنه للمرة الأولى في التاريخ انطلقت دولة هي دينية في مبدئها وهدفها، وفي الوقت ذاته تقر حق الشعوب الخاضعة لسلطانها أن تحافظ على معتقداتها وتقاليدها وثوابت حياتها، وذلك في زمن كان المبدأ السائد يقضي بإكراه الرعايا على اعتناق دين ملوكهم.

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[2].

---

(١) من الكُتاب السوريين المسيحيين الكبار.

(٢) سورة الممتحنة ـ الآية: ٨.

الفصل الثالث

علماء الغرب ومفكروه ... ما الذي وجدوه في القرآن

لم يهاجم دين من الأديان البشرية العديدة، مثل ما هوجم الدين الإسلامي، وهذا الهجوم بدأ منذ ألف وثلاثمائة سنة، ولكن ـ بفضل الله ـ لم يزد ذلك الإسلام إلا صلابة وانتشاراً وظهوراً للحق المبين.

﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ ﴾(١).

أحد كبار المفكرين الأوربيين في القرن التاسع عشر قال: (إنه لن يمضي مائتا عام، حتى ينتشر الإسلام في أوربا بأجمعها).

قد يتساءل الإنسان ما هو سر بقاء الإسلام حيوياً حتى الآن وما هو سر قوته؟ . . . إنه القرآن الذي تعهد الله بحفظه ليكون المعجزة الخالدة حتى آخر الزمان.

﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ﴾(٢).

هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله.

ذلك حينما نجد أن القرآن الكريم قد أكد الحقائق العلمية التي ستظهر بعد نزوله بآلاف السنين، بحيث إذا قرأ العالم المعاصر ـ المتسلح بأحد نظريات العلوم وقوانينها واكتشافاتها ـ القرآن يجده قد أشار إليها إشارات واضحة، وبعضها في التفصيل والبيان بحيث لا يمكن صرفها إلى غير هذه المفاهيم الجديدة المكتشفة، فالقرآن ومعجزته العلمية اللذان يتحديان بها العالم المعاصر تشير إلى أن القرآن كأنه يتنزل اليوم مواكباً لطبيعة العصر، بل متجاوزاً لإمكانياته الحالية والمستقبلية في هذا الجانب. فعظمة المعجزة القرآنية هذه التي تحدثت لعرب الجاهلية فأعجزتهم تقف اليوم للتحدث للعقول الالكترونية، ولعلوم الفضاء والفلك والفيزياء النووية والكونية

---

(١) سورة النساء ـ الآية: ١٦٦.

(٢) سورة فصلت ـ الآية: ٥٣.

وللهندسة الوراثية والحيوية وعلم التاريخ والآثار بما أظهرته الكشوفات، بل ولكل العلوم وبلغة تعجزهم بنفس قوة الإعجاز البلاغي للعرب الفصحاء.

إن عظمة الرسالة الإسلامية تكمن في أن المعجزة التي جاء بها الرسول ﷺ هي نفس كتابه الذي تضمن شريعته وعقيدته، وما دام قد أرسل إلى الخلق كافة، من وجدوا في عصره ومن سيوجدون حتى القيامة، إذاً يجب أن تكون له معجزة دائمة بدوام الرسالة لتدل كل عصر على نبوته وصدق رسالته، إذ كيف سيؤمن به اللاحقون إن لم تكن هناك معجزة حقيقية قائمة تتحدى كل أحد أن يأتي بمثلها.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[١].

يقف الإعجاز العلمي متحدياً كل ذلك بما أشار إليه وتحدث عنه من ظواهر علمية سبقت عصره، ومن هنا نرى إسلام كثير من علماء الفلك والفضاء والفيزياء والكيمياء وعلوم الحياة والتاريخ. . . سواء الأوروبيين أو الأمريكيين أو الآسيويين وغيرهم، ولم يكن إيمانهم به عن عاطفة سطحية، بل بعد دراسة عميقة وطويلة، تمتد لسنين حتى قام أحدهم بدراسة جميع الكتب المقدسة، على ضوء آخر المكتشفات والقوانين، فسقطت جميعها، لتحريفها عبر الزمان، وعدم مطابقتها لما اكتشف وبقي القرآن شامخاً صادقاً ودليلاً وحجة[٢].

إنها معجزة أكبر من كل المعجزات، إنك إذا رأيت عصا موسى ـ عليه السلام ـ تتحول إلىٰ حية تسعىٰ، فأنت ترى آية واحدة أما القرآن فكله آيات وكل آية تدل على مصدرها وتحمل علماً إلهياً.

«موريس بوكاي» أكبر علماء فرنسا في الجراحة، سمع عن الإسلام مصادفة حينما أرادت جمهورية مصر معالجة وإصلاح جثة فرعون وغيره وكان رئيس فريق الأطباء حينها وبعد أن وجد تلك المطابقة بين ما وجده في جثة فرعون وما جاء في القرآن وكان مناقضاً لما جاء في التوراة عما أصاب فرعون أثناء غرقه ـ (وهذا

---

(١) سورة البقرة ـ الآيات: ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن «تأصيل فكري وتاريخ ومنهج» / للأستاذ سامي موصلي.

ما سنبينه في هذا الفصل)ـ قال:

علي أن ادرس القرآن واللغة التي جاء بها. فخرج بخلاصة: التاريخ يثبت أن التوراة والإنجيل قد حرفا وأن القرآن لم يحرف فيه أي حرف وأن القرآن سبق كل العلوم وقرر حقائق لم يعرفها الناس إلا في وقتنا الحالي. لقد وجدت بأنه ليس في القرآن تأكيد يمكن أن ينتقد من الوجهة العلمية في العصر الحديث.

الدكتور موريس بوكاي عندما عرف ما عرف قام بإلقاء محاضرة في أكاديمية العلوم الفرنسية بباريس سنة ١٩٦٧ حضرها حشد هائل من العلماء في شتى أنواع العلوم الحديثة. . . وبعد أن عرض حقائق القرآن الكريم في شتى ميادين العلم سأل أخيراً هؤلاء العلماء قائلاً: «هل لكم أن تخبروني من أين جاء محمد بهذا العلم الحديث، وقد أكدتم أنفسكم يا علماء الغرب والشرق بأن هذا علم لا يمكن لأحد من البشر أن يعرفه قبل وقتنا هذا، وبعد محاولات طويلة عبر الزمن وجدتم أن ما جاء منسوباً للتوراة والإنجيل جاء مناقضاً للعلم الحديث ومفاهيمه كافة، فطرحتموه جانباً تاركين أمره لخيال المؤمنين وأهل الأديان، أما القرآن فقد سبق هذه العلوم. وقرر حقائق لم يعرفها الناس إلا بعد قرون وقرون».

فمن أين لمحمد هذا العلم؟ فسكت الجميع وليس من جواب.

قال الدكتور حينها: بالطبع لا جواب عندكم والجواب عندي، إنه من عند الله الواحد وأن محمد هو رسول الله.

وقد أحدثت هذه المحاضرة ضجة إعلامية في أنحاء أوربا.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾[1].

البروفيسور يوشدي كوزاي[2] ـ مدير مرصد طوكيو وأشهر علماء الفلك في العالم بعد أن عرضت عليه الحقائق الموجودة بالقرآن وتأكد منها قال: «إن هذا القرآن وما فيه من حقائق علمية يدل على أن المتكلم به يصف الكون من أعلى قمة في الوجود من خارج الكون، فهو يرى كل شيء في الوجود. . . فكل شيء أمامه واضح

---

(١) سورة الشورى ـ الآية: ١٧.

(٢) أثناء زيارة له لجامعة الملك عبد العزيز بجدة سنة ١٩٩٥.

أما نحن العلماء فنبحث أبحاثاً جزئية. . . أنا أضيع عمري أبحث جزئية في كوكب أو نجم ولا أعرف باقي الارتباطات في هذا الوجود. . . فالكلام الذي جاء في هذا الكتاب، هو كلام جاء ممن يصف ويعرف الكون من خارجه، وكل شيء لذلك يبدو عنده مفهوماً». ثم قال: إني أحب أن أتبع هذا الطريق. . . وبعد عدة جلسات أعلن إسلامه أمام الجميع.

وكل ذلك مسجل بالصوت والصورة ومتوفر لدى العامة، هو ومجموعة ليست قليلة من العلماء كل حسب اختصاصه (وهذا ما سنبينه بالتفصيل).

وفي ندوة علمية أخرى بجامعة الملك عبد العزيز، وكان نائب رئيس الندوة ألمانياً اسمه «البروفيسور شوايدر» عالم البحار المشهور، بعد أن ألقى الشيخ الزنداني محاضرة «الإسلام وعلوم البحار».

وقف البروفيسور الألماني وقال: إن ما سمعناه ووجه لي من أسئلة ليشهد أن كل ما نكتشفه نحن العلماء إنما كان مسجلاً من قبل من قِبَل الخالق المجيد، وإن هذا ليدل على أن هناك حقيقة واحدة وعلماً واحداً وإلهاً واحد» وهذا أيضاً مسجل بصوته وصورته.

فما أعظمه من كتاب وما أعظمها من معجزة لم يكن مثلها لنبي أو رسول غير خاتم الأنبياء والمرسلين، أليس هو كلام الله، والله ليس كمثله شيء، وهذا ما جعل أحد الكتاب والمؤلفين يقول: «إن الكتاب الذي يحق له أن يحكم العالم لا بد أن يتصف بأنه ليس بحاجة إلى تعديل أو إضافة لأن أحكامه تعيينية، بمعنى أن كل علاقة يقصدها بينه وبين الحياة لا بد أن تكون علاقة تخضع لكل تجارب الناس، وكل علاقاتهم بالحياة للفوز المبين المعقود على نواحي كلماته».

فمهما حاولنا، بقصور عقلنا البشري، أن نصل إلى نهاية إعجازه في كل باب من أبواب الإعجاز العديدة فسنبقى في حدود قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

فكلما اكتشف الإنسان جديداً اتضحت له سعة الكون واتضح له أنه لم يعلم إلا

---

(١) سورة الإسراء ـ الآية: ٨٥.

قليلاً ويتضح التعقيد البالغ الذي يلف الأشياء.

إن خالق الكون هو الذي يتحدث عن كونه، فهو الذي يعرف ما خلق ومن خلق: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾(١).

لنرى حقيقة ما قاله أحد الباحثين في القرآن: «في العالم كله كتاب واحد قدم للناس جميعاً حقائق العلم قبل أن تثبت في معارك العلاقات بين الوعي البشري وبين مادة الكون، ذلك هو القرآن».

ختاماً نقول:

لقد عادى الغرب الدين لأنه وقف عندهم في وجه العلم، حتى أقصي الدين في أوربا، وحسب الناس أن الدين والعلم شيئان متناقضان إذا وجد أحدهما فيجب أن يخرج الآخر، فاختاروا الذي تأكدوا منه بحواسهم، ورفضوا الثاني الذي نقل إليهم وليس عليه أدلة ظاهرة بين أيديهم، فلما انتقلت الحركة العلمية إلى أرض المسلمين أراد أعداؤنا أن يوهمونا نفس الوهم، وأن يقولوا أن دينكم هو كديننا، وهذا غلط بالنسبة للإسلام وحضارته. وفي مناقشة لكبار رجال العلم:

إن الكنيسة قالت لكم، إن العلم هو خطيئة آدم الأولى، عندما أكل من شجرة المعرفة وازداد بصيرة فغضب الله عليه وطرده من الجنة، وكانت المعصية الأولى، ومن أراد علماً فإنما يريد معصية ويريد ناراً).

فحاربت الكنيسة العلم وألبسته ثوب الجريمة، فلما انتصرتم عليها رددتم الصاع صاعين فأنكرتم الدين كله، ولم تنكروا التحريف الذي فيه، بل حاربتم كل الأديان وأعلنتم حرباً على الدين، فقد خفتم إذا وجد الدين فسوف يستأصل العلم.

أما عندنا فالأمر ليس كعندكم، عندنا نفس القصة لسيدنا آدم عليه السلام في القرآن حيث يقرر الله ـ عز وجل ـ أن الصفة التي كرم بها آدم عليه السلام على الملائكة هي صفة العلم، ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ... قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾(٢).

---

(١) سورة الملك ـ الآية: ١٤.

(٢) سورة البقرة ـ الآيات: ٣١ ـ ٣٣.

ثم أنكم كلما اكتشفتم شيئاً قال لكم القسس، هذا الذي اكتشفتموه يعارض ما عندنا في التوراة والإنجيل فازددتم سخرية بهذه النصوص التي قالوا عنها مقدسة، واكتشفتم أنها غير مقدسة، والحقيقة إنكم قطعتم نصف الطريق إلى الإسلام.

لقد أمرنا الله سبحانه بالنظر والتفكر واكتشاف الحكمة من الخلق.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾(١).

وهذا ما جعل علماء المسلمين أثناء الخلافة يصلون إلى علوم لم يسبقهم إليها أحد.

أوجب الإسلام النظر وأعمال العقل، واعتبر عدم البحث والعلم جريمة يستحق عليها العقاب وغضب الله عليها.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٢).

قرن الله تعالى الخوف منه بالعلم، وأن من لا يعلم لا يخشى الله.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾(٣).

---

(١) سورة الغاشية ـ الآيات: ١٧ ـ ٢٠.

(٢) سورة الملك ـ الآية: ١٠.

(٣) سورة فاطر ـ الآية: ٢٨.

العالم الأمريكي «دودلي فوستر»[1]
رئيس البعثة الأمريكية
في موضوع «البحر المسجور»

يقول الله ـ جل وعلا ـ في محكم آياته: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾[2].

لم يفهم المؤمنون قديماً ما هو البحر المسجور، فأخذوا يسألون الرحالة والبحارة والتجار... هل رأيتم في سفركم وترحالكم بحراً مسجوراً تشتعل فيه النار... ويأتي الجواب بلا.

في لغة العرب... سَجَر.. معناها أحرق أو أوقد، سجر التنور: أحماه.

أقسم المولى أن هناك بحراً يسجر ويحرق، ولا يقسم المولى إلا بموجود.

العقل العربي وقت تنزيل القرآن ولقرون متطاولة من بعد ذلك لم يستطع أن يستوعب هذه الحقيقة... إذ كيف يكون البحر مسجوراً، والماء والحرارة من الأضداد، الماء يطفئ النار والنار تبخر الماء.

أراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يتحقق وعده بأن يري الظالمين قدرته وعلمه الذي لا يحيطون بشيء منه.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ...﴾[3].

ويشاء المولى أن يضع الحجة أمام المليارت من الناس، فهيأ لهم اكتشاف شيء من قدرته سبحانه.

---

(١) استضافته المملكة العربية السعودية والبعثة الأمريكية المصاحبة له وأجري معه حوار طويل أثناء دراسته وأبحاثه في البحر الأحمر وباب المندب.

(٢) سورة الطور ـ الآيات: ١ ـ ٦.

(٣) سورة البقرة ـ الآية: ٢٥٥.

حينما انتهت الحرب العالمية تفرغت البشرية للعلم وتسابقت سعياً حول العالم في الاكتشاف والاطلاع ورصدوا المليارات من الدولارات.

غواصة ألمانية تعبر البحر الأحمر، فرأى من فيها في قاع البحر «أخاديد» تخرج منها الحمم ولاحظوا أنهم كلما اقتربوا من باب المندب ازدادت تلك الأخاديد التي تخرج منها الحمم المشتعلة وهذا أول اكتشاف لهذه الظاهرة.

وجدوا أن كثير من البحار توجد فيها أخاديد وشقوق وتمت دراستها وعرفوا علاقتها بباطن الأرض فهي من المنفثات الطبيعية للأرض حتى يتم المحافظة على استقرار الأرض وعدم انفجارها بالتنفيث عن تلك الحمم التي تغلي في أعمق الكرة الأرضية.

ومنها ما قام به العالمان الروسيان «اناتول سجانفيتش» و«يوري بجداتون» من أكبر علماء الجيولوجيا والأحياء، بالاشتراك مع العالم الأمريكي المعروف «روناكلنت» على متن الغواصة ميرا. ووصلوا إلى هذه الأخاديد على عمق ميلين من السطح من المنطقة القريبة من ميامي. وقد يصل عمق هذه الأخاديد في البحار الأخرى إلى ١٠كم من سطح البحر. حيث وصلوا إلى الجحيم المائي ولم يكن يفصلهم عنه سوى كوه من الاكرليك وكانت الحرارة ٢٣١م على بعد أميال من هذه الأخاديد، وقد قاموا بتصويرها وعرضت على التلفاز في جميع أنحاء العالم ورأها الجميع ومنهم أنا.

هذه الصدوع جعلت قيعان كافة محيطات الأرض مسجرة باندفاع الصهارة الصخرية وتتجلى قدرة الله ـ تعالى ـ بأن الماء على كثرته لا يستطيع أن يطفئ جذوه هذه الحرارة العالية، ولا الحرارة على شدتها تستطيع أن تبخر هذا الماء، وهذا الاتزان هو من أكثر ظواهر الأرض إبهاراً للعلماء.

وهذه حقيقة لم يتوصل العلماء إلى إدراكها إلا في أواخر الستينات من القرن العشرين.

إن البراكين في قيعان المحيطات أكثر عدداً وأعنف نشاطاً من تلك التي على سطح اليابسة، وهي تمتد بطول قاع المحيط أو البحر.

وأهم من اشتغل بهذا الموضوع هو العالم الأمريكي «دودلي فوستر» الذي استضافته جامعة الملك عبد العزيز، وبعد أن تأكد من وجود إشارة لهذه الظاهرة في القرآن تعجب. ومما قاله:

الباهر هو تلك الصياغة المعجزة: «البحر المسجور»، لأنه نظراً لعدم وجود الأُكسجين لا يمكن أن تشتعل هذه الحمم البركانية، ولكن عادة ما يكون ظاهرها أو الطبقة العلوية «داكنة السواد» شديدة الحرارة، دون اشتعال مباشر».

فهي تشبه صاجة قاع الفرن البلدي المحمى وهذا هو القصد اللغوي تماماً، حيث لا يمكن أن تحل محلها أو تغني عنها كلمة أخرى(١).

السير «جيمس جينز» الأستاذ بجامعة كمبردج في نفس موضوع (البحر المسجور)

يقول عنه العلامة الهندي الدكتور عناية الله المشرقي في قصة طويلة، منها(٢):

«راح السير جيمس يكلمني عن الكون ونظامه الدقيق المدهش، وعن الكواكب في السماء، ونظامها العجيب المحكم... وعن المجرات وأبعادها اللامتناهية وطوفان أنوارها الباهرة... ونظرت إليه فإذا به يبكي.. قال: عندما ألقي نظرة على روائع الخلق، يبدأ كياني يهتز من الجلال الإلهي.. أركع أمام الله وأقول: إنك لعظيم.

عندها قلت هل تسمح لي أن أقرأ أمامك آية من القرآن الكريم فأجاب: بكل سرور فقرأت عليه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً... إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾(٣).

---

(١) بعض من كتاب «الإعجاز العلمي في القرآن» للدكتور زغلول النجار.

(٢) المقدمة من كتاب «كيف أرى الله» عبد الودود شلبي.

(٣) سورة فاطر ـ الآيات: ٢٧ ـ ٢٨.

وما كدت أتوقف حتى صرخ قائلاً: إنما يخشى الله من عباده العلماء. . . . مدهش . . . غريب . . عجيب جداً . . من أنبأ محمدً بهذا .

عندما عرضت عليه آية «البحر المسجور» وبعض الحقائق الموجودة في القرآن تعجب وله قولاً مشهوراً عن سيدنا محمد ﷺ يقول: إن الأمور العلمية التي كشفت عنها دراستي ومشاهدتي خلال خمسين سنة من أنبأ محمداً بها .

يقول عن الآية ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[1] :

يحصل هذا عند انفلات قانون الله المحكم يوم القيامة في الكون، وهو مطابق للعلم حيث أكد العلم تأكيد مطلقاً أن لكل شيء نهاية بدءاً من الذرة ونهاية بأعظم النجوم .

جميع العلماء متفقون أن فيزيولوجيا الخلق تحمل عوامل الفناء عند بدء الخلق، فما خلق الله شيئاً إلا وضع فيه قانون فنائه المحتم .

لم يقل الحق سبحانه . . البحر المحروق مثل تعبير (نار موقدة)، بل قال المسجور، سجر التنور: سخن الصاج حتى أحمر . فقصد الله ـ عز وجل ـ التسخين وليس الاحتراق، وهنا يكمن الإعجاز العظيم المطابق لأحدث المكتشفات العلمية .

وقد بهره حديث لرسول الله ﷺ: «**لا يركب البحر إلا حاجٌ أو معتمرٍ أو غازٍ في سبيل الله، فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً**»[2] . (وهذا مطابق للصورة التي تم رسمها عندما قام العلماء برسم مقطع لقاع البحر في منطقة الأخدود) .

---

(١) سورة التكوير ـ الآية: ٦ .

(٢) رواه أبو داود .

عالم البحار المشهور «ميشيل كوستو»
في موضوع «الحاجز بين البحرين»

يقول الله ـ جل جلاله ـ: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[1].

مرج (في لغة العرب): الذهاب والإياب ـ لذا يقال هرج ومرج، وسميت المروج، لأن الحيوانات تذهب وتجيء فيها.

البرزخ: الحاجز، الفاصل بين شيئين.

لا يبغيان: لا يطغى أحدهم على الآخر، بغى فلان على فلان أي طغى عليه وتجاوز حده.

عندما قام العلماء بقياس البحار وجدوا ظاهرة، أن مياه البحار تختلف بعضها عن بعض، فماء البحر المتوسط مختلف عن ماء المحيط الأطلنطي وكذلك الأحمر عن المحيط الهندي، وعندئذ نشأ سؤال: كيف يحدث اختلاف بين هذين المائيين، فالحرارة والملوحة والكثافة والمعادن المذابة ونسبة الأكسجين والأحياء مختلفة مع أنها تلتقي ببعضها البعض منذ ملايين السنين، فالمحيط الهندي واسع ـ فلماذا لم يحدث أن طغت خصائص المحيط الهندي على الأحمر.

استمرت الدراسة فترة طويلة.. إذ هناك بقعٌ متجاورة بعضها مع بعضها ذات مساحات كبيرة من الماء في المحيطات صورت من الفضاء، لها خواص مختلفة عن بعضها ولا تختلط أو تمتزج بشكل كامل. أثناء التصوير من الفضاء وجدوا أن هناك منطقة فاصلة بين البحرين ـ بعد إظهار الصور المرسلة ـ عرضها خمسة عشر كيلو متر لونها مختلف، وهي من نوع ثالث من المياه تختلف عن البحر المتوسط والأطلسي، فأرسلوا إلى عالم البحار المشهور ميشل كوستو المعروف بأبحاثه وتجواله ومعداته الحديثة.

---

(١) سورة الرحمن ـ الآيات: ١٩ ـ ٢٠.

لاحظ هذه الحقيقة عند باب المندب فقام والبعثة التي يرأسها العالم الأمريكي (روناكلنت) بتحديد هذه المنطقة الفاصلة. فوجدوها تختلف عن البحر والمحيط في الحرارة والكثافة المائية ونسبة الأملاح والمعادن وفي الحيوانات المائية، ثم احضروا عينة مياه من البحر المتوسط وعينات من المحيط الأطلسي وخلطوها على ظهر السفينة فاختلطت ولكنها في هذه المنطقة الفاصلة لا تختلط.

قالوا: ليس هناك من نظرية أو فرضية فيزيائية أو جيولوجية تمنع هذا الاختلاط خارج البحر.

العالم كوستو: في البداية لم يعرف تعليلاً لهذه الظاهرة، وبالصدفة قابل علماء مصريين[١] وأراد أن يفاجئهم بهذه الظاهرة العجيبة التي كشفها العلم بمعداته الحديثة والامكانيات العظيمة التي وظفت لذلك.

فكم كانت دهشته عظيمة وهزته من الأعماق عندما أخبره هؤلاء العلماء العرب أن هذه الظاهرة ذكرها الله ـ عز وجل ـ في القرآن منذ ١٤٠٠سنة. وبشكل جلي واضح ـ في الآية المذكورة أعلاه ـ بل وأكثر من ذلك هناك آية ثانية تذكر بوضوح التقاء النهر مع البحار (وهذا ما شرحه لنا عالم آخر).

وقف وقال العالم كوستو... لا بد أن يكون هذا من عند الله. ولم تمض فترة حتى أعلن إسلامه.

وقد ذكر هذا الحوار في مجلة نور الإسلام البيروتية.

البروفيسور «هيغ» من أشهر علماء البحار في أمريكا[٢] في نفس الموضوع

يقول: البحار المالحة ليست بحراً واحداً... هناك حواجز بين الكتل البحرية، ظهرت بالتصوير من السفن الفضائية بالخاصية الحرارية. حتى بالغواصات والبواخر

---

(١) حوار ذكرته مجلة نور الإسلام البيروتية.

(٢) من اسطوانات (C.D) مسجل بصوته وصورته.

لم يتبين هذا الحاجز.

وعندما سئل عن رأيه بأن ذلك موجود في القرآن قال: ليس لدي طريقة أعرف بها من أين جاءت. ولكن هذا مثير جداً وهو ليس من عمل بشر، وعندما سئل فمن أين أتت؟ قال: اعتقد أنه لا بد أن يكون ذلك من عند الله.

وممن كان معه البعثة العلمية الأمريكية التي زارت جامعة الملك عبد العزيز ذكرت أن الحاجز صور من سفن الفضاء الأمريكية وظهر بأنه يتحرك بالمد والجزر والرياح، ولكنه لا يمتزج وكذلك تم تصوير البرزخ الفاصل بين مياه النهر والبحر.

عندما عرضت الآية عليهم قالوا: البرزخ من شأنه أن يمنع الاختلاط، فكيف الآية تقرر الاختلاط وتقرر وجود البرزخ ـ وجاء التعليل: وظيفة الحاجز هي أن يقلل من الكتل المسافرة إلى كل من البحرين المختلفين، الكتلة التي ستدخل إلى البحر الآخر، تقلب لتأخذ خصائص البحر قبل أن تدخل إليه. وبذلك لا يطغى المحيط على البحر، ولا تصبح بيئة البحر الأبيض مشابهة للمحيط فلا تتناسب مع بعض الكائنات الحية التي قدرها الله في هذه البيئة.

لقد وجدنا أن الحياة في البحار تشبه حياة الشعوب على اليابسة فكما أن لكل شعب حياته وعاداته وطباعه ولغته ولونه فإن لكل بحر حياته كما فصل الله الشعوب. وذلك مصداق الآية في القرآن الكريم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ... ﴾(1).

لذا كان الفصل بين البحار بهذه الحواجز للمحافظة على بيئة كل بحر من البحار.

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم... ﴾(2).

في الأرض: «في» يجعل المعنى يتضمن أحياء البحر.

---

(١) سورة الحجرات ـ الآية: ١٣.

(٢) سورة الأنعام ـ الآية: ٣٨.

البروفيسور الألماني «شرايدر»[1]

في موضوع: الحاجز بين البحر والنهر

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾[2].

هذه الآية تتمم الموضوع السابق وتتمم علماً كبيراً قائماً هو علم البحار والمحيطات يُدرس في الجامعات والمعاهد، الآية تتحدث عن البرزخ الموجود بين البحر والنهر.

النهر الكبير في لغة العرب يسمى بحراً كناية عن غزارة وكثرة الماء.

فرات: زائد في العزوبة والطعم السائغ، أُجاج: من الأجيج: وهو ما يلهب، لأن شربه يزيد في العطش، فالأجاج: الزائد في الملوحة.

لولا رحمة الله ـ سبحانه ـ لطغت مياه البحار، وما أعظمها، على مياه اليابسة في الأنهار، وما أصغرها نسبة إلى الأولى.

نلاحظ أن في التقاء العذب الفرات بالمالح لم يقل الله ـ عز وجل ـ يلتقيان، ذلك بأن الله وضع ما بين البحرين المالح والعذب حاجزين، الأول حاجز من نوع آخر من المياه، والثاني الحجر المحجور وهي مصب الأنهار، لأن اللقاء في لغة العرب هو القرب الشديد.

لاحظ العلماء أن ماء النهر بعد أن يصل إلى مصبه ويصطدم بالحاجز الذي هو بعد المصب، ينحني ويعود ثانية إلى مجراه في النهر، وأن مياه البحر عندما تصل إلى منطقة الحاجز تنحني وتعود ثانية إلى البحر.

حتى الأسماك في كل موقع لا تتجاوز موقعها، إن كان قبل الحاجز أو بعده أو

---

(١) نفس المصدر السابق وأثناء ندوة علمية بجدة، (كان رئيس هذه الندوة).

(٢) سورة الفرقان ـ الآية: ٥٣.

داخل الحجر المحجور. فما أن تأتي إلى هذا الحاجز حتى تعود وترجع إلى منطقتها. وخاصة في منطقة الحجر المحجور، فلها أسماكها التي لا تخرج منها، وقد تم تصوير ذلك المشهد الرائع وعرض في التلفاز وشاهده أكثر الناس في برنامج عن البحار كما فعل العالم كوستو.

وقد استعملت كلمة الحجر استعمالاً مادياً. . . فقد سمي مكان عزل المرضى المصابين بمرض خطير معدي «حجر صحي» أي العزل الصحي. وهكذا الكائنات الحية المائية لا تتحرك من منطقة إلى أخرى ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾. فلو انتقل الكائن الحي يموت، ولكن بفطرته لا ينتقل من مائه فهو محجور.

لقد تم الوصول إلى هذه الحقائق بعد إقامة مئات المحطات، والتقاط الصور بالأقمار الصناعية، والكلام للبروفيسور «شرايدر».

كان يقول، إذا تقدم العلم فلا بد أن يتراجع الدين، ولكن بعد أن سمع معاني القرآن بهت وقال: إن هذا الكلام لا يمكن أن يكون كلام بشر. . . إن ما سمعناه ووجه لي من أسئلة ليشهد أن كل ما نكتشفه نحن العلماء إنما كان مسجلاً من قبل من قِبَل الخالق، وإن هذا ليدل على أن هناك حقيقة واحدة وعلماً واحد وإلهاً واحداً.

ويضيف: إن من المهم بالنسبة لندوة كهذه أن تبلغ إلى العلماء في جميع أنحاء العالم، وإنني واثق أنني وباقي العلماء في هذا المؤتمر سنعود إلى وطننا ونبين للناس أن العلم لا يأخذ شيئاً من الدين. . وليس إذا تقدم العلم فإن على الدين أن يتقهقر.

لقد رأيت أن العلم يؤكد ما يقوله القرآن وما يقوله القرآن يؤيد ما كشف اليوم من علم.

وأنا أقول: هكذ تجلت قدرة الله ـ عز وجل ـ للناس في عصر العلم. . . فهل يستطيع جميع البشر مع علمائهم وبامكانياتهم أن يفتحوا ثغرة في هذا الحاجز لاختلاط ماء النهر بماء البحر أو ماء البحر مع ماء المحيط.

البروفيسور الهندي «دورغاراو»[1] - أستاذ علم جيولوجيا البحار - في موضوع: الموج الداخلي

الآية: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[2].

بحر لجي: شديد العمق.

يخبرنا العلم: أنه سنة ١٩٥٠ اكتشف البحارة الاسكندنافيين أن تحت الموج العلوي للبحر، موجاً داخلياً عند عمق ٤٠ ـ ٥٠ ـ ١٠٠م، أي أن هناك موجاً داخلياً غير الموج السطحي، واعتبروا هذا الاكتشاف مفخرة لهم.

واكتشفوا أنه على عمق ١٠٠٠متر ـ ترى ظلاماً دامساً، وأن هذا الظلام يبدأ على عمق ٢٠٠م، حيث أن الموج الداخلي يسبب إظلاماً.

فلو جئت بإناء فيه ماء ونظرت إلى قاعه لوجدت القاع منيرٌ، إذا أحدثت به موجات بيدك فسترى تحت كل موجة بقعة مظلمة تمثل شكل الموجه، ذلك لأن الماء عندما ينحني ويسقط عليه شعاع فيكون كالمرآة فيعكسه، وهذا معناه أن كمية من الاشعاع عكست فأحدثت ظلمة.

السحاب أيضاً إذا حال بين الماء وبين الشمس أحدث ظلمة، فتتراكم هذه الظلمات فوق بعضها حتى تشتد على عمق ألف متر.

فالضوء.. جزء صغير منه الذي يدخل مياه البحر، والجزء الأكبر ترده الأمواج السطحية، وتأتي طبقة من ٢٠٠ حتى ١٠٠٠ يسميها العلماء طبقة شبه الضوء، وتزداد هذه الظلمة باستمرار، وهذا مصداق الآية ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾.

يصل عمق البحر أو المحيطات من ٤كم إلى ١١كم، فتكون الظلمة الكاملة.

ومن البديع أن العلماء كانوا يعتقدون أن هذه المنطقة (قاع المحيط) لا توجد فيها حياة، لأنه مع ازدياد الضغط واختفاء الضوء وبرودة الماء. كيف توجد حياة؟

---

(١) في مؤتمر الإعجاز العلمي بالرياض، وأُخذت من اسطوانات بصوته وصورته.

(٢) سورة النور ـ الآية: ٤٠.

ولكن بعد أن غاص العلماء بغواصات خاصة[1]، أدركوا أن الحياة في هذه المنطقة تفوق الطبقات العليا بمئات المرات، وفي هذه الظلمة يزودها ربنا بإضاءة ذاتية حيث لا أبصار لها وهو مصداق الآية: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾.

هذا ما أكده البروفيسور «دورغاراو» الأستاذ في جامعة الملك عبد العزيز عندما عرضت عليه الآية التي ذكرناها وترجمت معانيها أطرق ملياً ثم قال: هذه حقيقة علمية مؤكدة.

وهذا لا يمكن أن يكون علماً بشرياً، في وقت كان الجهل يلف العالم وخاصة البحار فهو علم متقدم ويحتاج إلى إمكانيات حيث أن جسم الإنسان لا يحتمل الغطس أكثر من ٣٠متراً، وإلا مات.

أقول: من أخبر سيدنا محمداً ﷺ عن هذه الحالة التي تبدأ بالموج الداخلي الذي هو على عمق ٤٠م وينتهي إلى ٢٠٠م.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[2].

أيضاً ما الذي اضطره ﷺ للخوض في تشبيه أو قضية غيبية كتلك، لولا أن الله ـ جل جلاله ـ يعلم أن الإنسان سيكتشف في يوم من الأيام هذه الأمواج العميقة.

المستر «براون» ـ أحد رجال وعلماء البحرية البريطانية ـ عن نفس الموضوع السابق

في لقاء له مع مجموعة من العلماء العرب قال: «هل ركب نبيكم البحر» قالوا: لا، حتى العرب في زمن تنزيل القرآن الكريم كانوا يخشون البحار وقد أطلقوا على البحر المتوسط. . . بحر الظلمات قال: إذاً منْ علمه علوم البحار.

قالوا: ما الغاية من السؤال.

قال المستر براون: قرأت في كتاب الإسلام آية لا يعرف عمق ما فيها إلا من أوتي علماً واسعاً في علوم البحار، ثم قرأ الآية: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ . . .﴾. وهي المذكورة آنفاً.

---

(١) بعض هذه المعلومات العلمية الحديثة أُخذت من كتب للدكتور زغلول النجار.

(٢) سورة النمل ـ الآية: ٦.

العالم الألماني «ألفريد كرونر»(١)

من كبار علماء الجيولوجيا

في موضوع: أصل الكون

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾(٢).

هذا العالم الكبير عندما سمع قول الله في الآية، ذهل وقال: يستحيل أن يكون هذا من معلومات البشر في زمن محمد وما بعده وحتى قبل الآن بقليل. (والمشهور عن ذلك العالم أنه ملحد).

حيث أن الناس كانوا يعتقدون أن أصل المواد: ماء، نار، هواء، تراب. ثم بعد التقدم العلمي الحديث اكتشفنا أن أصل الموجودات ترجع إلى الذرات والذرات ترجع إلى الكترونات وبروتونات، وأن الماء والهواء والنار والتراب كلها تتكون من ذرات إلا أنها تختلف في العدد الذري.

قال: يستحيل أن يتصور إنسان في ذلك الوقت لا يعرف الطبيعة الذرية في تركيب المواد أن ماء الأرض كان متحداً مع نار الشمس.

الرتق: الضم، الالتئام، الالتحام.

الفتق: ضد الرتق. وهو الفصل بين المتصلين.

الآية تقول أن السماوات وهي الأجرام السماوية ـ (قول الحق ـ سبحانه ـ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بصيغة الجمع وليس بصيغة المفرد ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ فقصد بها كل الكون.. ففي لغة العرب كما أسلفنا، كل ما علاك سماء، وهي مشتقة من السمو أي العلو)ـ كانتا رتقاً أي متصلتين أو ملتحمتين حيث أن الرتق لا يكون إلا بين منفصلين، وهو جمع لما تفرق من بعد وصل، ثم يعقبه فتق.

النظرية السديمية: وهي من أحدث المكتشفات في القرن العشرين وبالاستناد

---

(١) في مؤتمر جيولوجي ـ كلية العلوم جامعة الملك عبدالعزيز.

(٢) سورة الأنبياء ـ الآية: ٣٠.

إلى الصور التي جاءت من تصوير النجوم في طور الولادة من السفن الفضائية تقول: أن أصل الكون كان سديم واحد، أي قرص عظيم من الغاز والغبار، أو الدخان مثل ما جاء في القرآن (وبما سنشرحه لاحقاً)، انكمش هذا القرص العظيم ثم انفصل لتكوين هذه الأجرام.

ولعلنا جميعاً ما زلنا نذكر تجربة صعود الإنسان إلى القمر، وكيف كان العلماء يحلمون بالعناصر النادرة التي سيجدوها على سطح القمر، وكيف سيكون فيها موادٌ تشفي أمراضاً لا يوجد لها دواء على الأرض، أو مواد تخلط مع مواد الأرض فتنتج مواد جديدة، ثم ماذا حدث بعد ذلك؟ لقد اكتشفوا أن سطح القمر مكون من نفس عناصر سطح الأرض ومن نفس تركيبها وأنهما من أصل واحد.

سنة ١٩٨٩ أرسلت وكالة الفضاء الأمريكية (NASA) قمرها الصناعي Cobe explorer الذي قام بعد ثلاثة سنوات بإرسال معلومات إلى الأرض تؤكد نظرية الانفجار العظيم الذي حصل في الثواني التي تلت نشأة الكون. وسمي هذا الاكتشاف باكتشاف القرن العشرين، هذه الحقائق ذكرها كتاب المسلمين «القرآن» منذ ١٤٠٠ سنة، كما قال هذا العالم. ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[١].

والأكيد (حسب ما قال العلماء)... في تكوين الشمس والكواكب، حصول تطور متواز مع تشابه الأصل، لكن للنجوم، كالشمس، دورتها البطيئة التي تؤخر انطفاءها نظراً لحجمها الكبير.

لذلك كله لا يمكن أن يكون هذا الكلام منسوباً إلى محمد إلا بوحي علوي، هذا كلام البروفيسور «الفريد كرونر» وهو مشهور أنه «ملحد»، يذعن لهذه الحقائق القرآنية.

أضاف: لم نصل إلى هذه الحقائق العلمية إلا منذ سنوات، وباستخدام وسائل علمية متقدمة جداً، وبعد دراسات معقدة طويلة خاصة بعلم الطبيعة النووية والأصل الواحد للكون ولم يتوصل إليه أحد قبل ذلك.

قلنا: أليس هذا كافياً كدليل مادي قوي لكي تؤمنوا؟

حاول هذا العالم أن يتهرب من الإجابة.

---

(١) سورة البقرة ـ الآية: ١٤٧.

قلنا: سنثبت لك بأن محمداً لم يكن ينطق إلا بوحي من الله..

إن في الأحاديث إعجازاً نرجو أن تفسره... قال رسول الله ﷺ في حديث صحيح هذا جزء منه: «**لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً**»[1].

سألنا العالم كرونر... هل كانت أرض العرب بساتين وأنهاراً كما روىٰ رسول الله ﷺ؟

قال: نعم، حصل هذا في العصر الجليدي الأول الذي مر به العالم في عصوره الأولى، وهذا ما أكدته الصور التي أخذتها السفن الفضائية القادرة على اختراق التربة إلى أعماق كبيرة.

فإذا حفرت في أي منطقة تجد الآثار التي تدلك على أن هذه الأرض كانت مروجاً منها قرية الفاو، التي تم كشفها تحت الرمال في الربع الخالي في شبه الجزيرة العربية.

وسألناه: وهل ستعود بلاد العرب بساتين وأنهاراً مرة أخرى؟

قال: نعم هذه حقيقة علمية، قلنا: كيف تقول على شيء سيقع في المستقبل.

قال: لأن العصر الجليدي الثاني بدأ، ومن مقدماته ذلك الشتاء القارس والعواصف الثلجية التي بدأت تزحف على أوربا في السنوات الأخيرة، وكل شتاء سيأتي سيكون أقسى من سابقه، فكتلة الجليد في القطب الشمالي بدأت تزحف ببطء نحو الجنوب، وببطء شديد إلىٰ المنطقة التي فيها بلاد العرب، وعندما يزداد هذا الاقتراب بعد فترة طويلة من منطقة بلاد العرب ستعود بساتين وأنهار. وتكون بلاد العرب من أكثر بلاد العالم أمطاراً وأنهاراً.

سألناه مرة أخرى[2]: من أخبر سيدنا محمد ﷺ... وهذا مستقبل بعيد جداً عنه قال: لا يمكن أن يحدث ذلك إلا بوحي من السماء.

أيضاً هناك إشارة علمية عظيمة لم يكن يتصورها أحد حتى زمن قريب إن للأرض والسماء أطوار... يتقرر على لسان النبي منذ ١٤٠٠ عام.

---

(١) صحيح رواه مسلم وأحمد والحاكم.

(٢) في حوار له مع الشيخ الزنداني ـ اسطوانات (C.D) مسجلة بصوته وصورته.

البروفيسور «يوشيدي كوزاي»

مدير مرصد طوكيو

في موضوع أصل النجوم والكواكب: «دخان»

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾[1].

بدراسة النجوم وتاريخ الكواكب وجد العلماء أن أصل السماء بأجمعها كان يوماً ما على شكل كتل غازية يتخللها جزئيات صلبة، وأدق وصف لها هو ما ذكره القرآن بتعبير إلهي معجز «دخاناً». ومن هذا الدخان تكونت كل الأجرام وإلى يومنا هذا.. والدليل... إنك لو نظرت من أي مرصد ونظرت إلى السماء... فستجد هذا الدخان... بقايا دخان يتكون منه أجرام جديدة. وهذا ما أكدته وكالة الفضاء NASA من الصور التي أرسلها القمر الصناعي explorer Cobe وهذا أكده العالم «كوزاي» عند زيارته لجامعة الملك عبد العزيز، وبعد أن وجه بالحقائق الموجودة بالقرآن قال قولته المشهورة التي ذكرناها في المقدمة[2] (صفحة ٢٣).

---

(١) سورة فصلت ـ الآية: ١١.

(٢) مسجل على اسطوانات (C.D) مسجلة بصوته وصورته.

البروفيسور «بارمر»
رئيس الجامعات الجيولوجية الأمريكية السابق
في نفس الموضوع «الدخان»

التقى به أحد العلماء العرب المسلمين[١] وسأله: ما هو أصل مادة تكوين الكون قبل تكوين ما في السماء وقبل تكوين الأرض، وهل يمكن أن نقول «دخان»؟ فقال: يمكن أن نقول «دخاناً» أو «ضباباً» أو «غباراً» فهذه الألفاظ يستعملها العلماء مثل «الضباب الكوني». . . ثم قلنا له أيهما أصدق في الوصف وأشمل؟ قال: لا أستطيع أن أجيبكم الآن.

ومنذ عامين اتصل بي ـ والحديث للعالم العربي[٢] ـ وقال: لكم أن تقولوا ذلك وأنه أصدق وصف لمادة الكون الأولى هو أن نصفها بأنها كانت «دخاناً» وهذا الوصف قد نشر أخيراً في إحدى المجلات العلمية المتخصصة في أمريكا. بدلاً من كلمة الضباب.

فالأصل عبارة عن «مواد صلبة وغازات حارة مرتفعة» وهذا لا ينطبق على الغبار ولا ينطبق على الضباب. . . إنه الدخان.

وكانت هذه أحد البحوث التي قدمها هذا الدكتور الأمريكي في مؤتمر «إسلام أباد» الذي عقد منذ سنوات وهو بعنوان «الإعجاز العلمي في القرآن والسنة» وهذا ما أكده الدكتور: «جامو».

القرآن صور مصدر خلق هذا الكون بـ«دخان» وهذا الوصف الدقيق كما صورته سفن الفضاء لنجم في السماء وهو يتكون، وقد بدئ كتلة من الدخان، في وسطها يكون الجزء المضيء من النجم وحوله الدخان وتحيط بالدخان حافة حمراء دليل

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) الشيخ عبد المجيد الزنداني.

على ارتفاع درجة الحرارة.

فتعبير ضباب كما تصوره العلماء في البداية خاطئ ولكن بعد التقدم العلمي عرفنا بأن الضباب جامد وبارد، بينما الدخان حسب الوصف القرآني حار وفيه حركة وهذا الصحيح.

والآية: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾[1] السورة عنوانها معجزة والله يخبرنا أن العالم كله عندما تقوم قيامته سيعود كما كان «دخاناً».

فكم من الحقائق العلمية هي معجزات إلهية كشفها بإرادة الله العلم الحديث: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾[2].

---

(١) سورة الدخان ـ الآية: ١٠.

(٢) سورة النمل ـ الآية: ٩٣.

البروفيسور الأمريكي «مارشال جونسن»[1]

رئيس قسم التشريح ومدير معهد دانيال جامعة توماس جيفرسون ـ أمريكا

في موضوع: علم الأجنة والحمل

﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ﴾[2].

﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾[3].

لنتذكر ما كانت تصورات علماء الأقدمين وحتى وقت قريب.

أرسطو قال: أن الإنسان يتكون من دم الحيض عندما يتجلط... وأن دور ماء الرجل فقط في عقد هذا الدم مثلما تفعل الأنفحة في اللبن وتحوله إلى جبن.

في عام ١٧٠٠ عندما تقدم العلم واكتشف الميكروسكوب... تصوروا بعد أن شاهدوا الحيوانات المنوية.. أن الإنسان هو هذه البذرة التي رأوها من شكل النطفة، فهو مختزل في الحبة المنوية، فرسم له العلماء صورة على شكل الحيوان المنوي... هذه الرأس وهذا العنق والجذع ثم الرجل وهي الذيل للحيوان المنوي كما في هذا الشكل.

وفي عام ١٨٠٠ عندما استطاعوا أن يروا البويضة... قالوا بويضة المرأة أكبر وفيها الإنسان الكامل ونطفة الرجل دورها هو تلقيح هذه البويضة. فالإنسان يوجد كاملاً في بويضة المرأة ومن ثم ينمو في الرحم كما البذرة ويأخذ غذاءه من الرحم. واعتبرت تلك حقيقة علمية معتمدة لدى العلماء.

ومنذ ٦٠عاماً فقط ـ وبعد اختراع المجهر الألكتروني وتطور علم الأجنة ـ تأكدوا أن الإنسان لا يوجد دفعة واحدة، إنما يمر بمراحل «طوراً بعد طور» وشكلاً

---

(١) اسطوانات مسجلة بصوته وصورته.

(٢) سورة الزمر ـ الآية: ٦.

(٣) سورة نوح ـ الآيات: ١٣ ـ ١٤.

بعد شكل.

التقى مجموعة من الأطباء المسلمين مع البروفيسور «مارشال جونس» وذكروا له أن الإنسان في القرآن خلق أطواراً. وهذا كان منذ ١٤٠٠سنة فلما سمع هذا كان قاعداً فوقف وقال.. أطواراً.. هذا غير ممكن.

ثم ذكروا له الآيات المذكورة أعلاه ووضحوا له هذه الأطوار حسب ما هو مذكور في القرآن (وهذا ما سنشرحه لاحقاً لكل طور).

فقال وهو يتأمل «هناك ثلاثة احتمالات»:

أولاً: أن يكون عند محمد ﷺ ميكروسكوبات ضخمة تمكنه من دراسة هذه الأشياء.

ثانياً: أن تكون وقعت مصادفة.

ثالثاً: أنه رسول من عند الله.

عندئذ قالوا له: الاحتمال الأول: أنت تعرف أن الميكروسكوب يحتاج إلى عدسات ويحتاج إلى كهرباء وعلم متطور، وهذا العلم لا يأتي إلا من جيل سابق فحتى الرومان كانوا جهلة بهذا الموضوع والفرس والعرب كذلك.

أما بالنسبة للاحتمال الثاني... أي مصادفة كما تقول.. فما رأيك أن القرآن ذكر ذلك في عدة آيات، وبعدة تعابير، بل ومفصلة وفيها شرح لكل طور وما يحدث فيه للجنين، (وذكروا له هذه الأطوار: نطفة، علقة، مضغة...).

عندها قال: لا تفسير إلا أنه وحي من فوق، وأنا أشهد بذلك.

فسبحان الله... المخاطرة بذكر شيء علمي في القرآن لا يمكن أن يقدم عليه بشر، فكيف يكون موقف الدين، وموقف المسلمين إذا جاءت الأبحاث وتقدمت العلوم واكتشفت أن ما ذكر في القرآن ـ وهو الكتاب المتعبد بتلاوته ـ غير صحيح علمياً.

وما الذي يجعل رسول الله ﷺ يخوض في هذه الأشياء التي كانت البشرية كلها تجهلها، فيتطوع بإعطاء أعداء الدين ما يهدمونه.

العالم الكندي «كيث. ل. مور»[1]
حائز على الجائزة الأولى على كتابه «علم الأجنة»
في موضوع: مراحل خلق الجنين «الأطوار»

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[2].

هذا العالم ـ وهو من أعلام علم الأجنة الكبار في العالم ـ وفي محاضرة له أمام حشد غفير من العلماء والمثقفين في الأكاديمية الفرنسية بباريس، وبعد أن عرض عليهم الحقائق القرآنية والسنة النبوية، ومراحل الخلق في القرآن، سألهم: «من أين لمحمد ﷺ هذا العلم»؟، فخيم على القاعة صمت رهيب... إنه وحي أنزله الله على محمد ﷺ.

﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾[3].

الكلمة «نطفة» مشتقة من فعل نطف، وتستخدم للإشارة إلى كمية ضئيلة جداً من السائل، حيث يصبح المعنى قطرة صغيرة من الماء. ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾[4].

فقضية الكمية الضئيلة من السائل الضرورية للتلقيح متفقة بدقة (والكلام للعالم كيث) ـ مع ما نعرفه عنها في هذا العصر، فهي النطفة التي تصل إلى البويضة من السائل... التي تتمكن من قطع المسافة من مدخل الرحم وتصل إلى هذه البويضة التي تغلق جدارها وتبقى باقي النطف خارجها.

مرحلة العلقة: أخذ هذا العالم صورة لكل من العلق ـ وهو الحيوان الرخوي الموجود في الماء ويتعلق في أفواه الأغنام والأبقار فيمتص منها الدماء ـ وصورة

---

(١) كتاب «مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة»، كيث. ل. مور مترجم لعدة لغات.
(٢) سورة المؤمنون ـ الآيات: ١٢ ـ ١٤.
(٣) سورة النحل ـ الآية: ٤.
(٤) سورة القيامة ـ الآية: ٣٧.

للجنين في مرحلة ما بعد النطفة، فإذا هما متشابهتان في الشكل والوظيفة.

فهذا الجنين محاطٌ بالماء كما العلقة والاثنتين تمتصان الدماء ولهما نفس الشكل.

وقال: إن ما ذكر في القرآن ليس وصفاً دقيقاً فقط لشكل الجنين الخارجي، ولكنه وصف دقيق لتكوينه، ذلك لأنه في مرحلة العلقة تكون الدماء محبوسة في العروق الدقيقة في شكل الدم المتجمد. وصرح في نهاية حديث بأنه سيغير في كتابه ويجعل هذا الفصل من حياة الجنين بعنوان «العلقة» كما جاءت في القرآن.

مرحلة المضغة: هذا العالم... أخذ قطعة من اللبان ومضغها بأسنانه، ووضع هذه بجوار صورة مضغة الجنين... نلاحظ نقاط وكأنها أماكن المضغ، وهذا يكون في نهاية الأسبوع الرابع. ونلاحظ من صورة الأشعة أن فيها تجويفات تشبه علامات الأسنان على المضغة.

قام بمضغ هذه القطعة ثانية فيتغير شكلها (كشكل الخلايا عندما تتكاثر) ثم يمضغها ثالثة فتأخذ شكلاً ثالثاً وهكذا يصبح شكل الجنين في هذه المرحلة.

في أولها كيف تكون مستطيلة كما كان في أول المضغ، ثم تتحول إلى هذا الشكل الممضوغ ثم تستدير، وهذه قطع وزيادات خارجة عنها.

صورة المضغة في نهاية الأسبوع الخامس حيث يظهر فيها الرأس والقلب والرئتين، وتجدون جميع الأجهزة قد تخلقت ولكن ليس في صورتها النهائية.

نجد في هذه المنطقة شيئين: نجد بقعة واسعة هذه لم تتخلق، وخلايا أخرى قد تخلقت، وأجهزة قد تخلقت، ولكن ليس في صورتها النهائية، فأصدق وصف لها ما قاله القرآن الكريم: ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾[1]. كل هذا والجنين في هذه المرحلة واحد سم.

والآن العظام تبدأ في الزحف على الجمجمة وتكون المرحلة الثالثة: مرحلة العظام والاكساء: ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾.

إذا سألت أحد أطبائنا... أيهما يخلق أولاً، العظام أم اللحم؟ (وهذا ما حصل)

---

(١) سورة الحج ـ الآية: ٥.

فكان الجواب: هما معاً في وقت واحد، ثم عندما طلب منهم مراجعة كتبهم، عادوا يقولون: لا العظم ثم بسرعة يأتي اللحم.

عندما ينتهي كساء العظام باللحم تبدأ مرحلة.. أهم ما فيها أن الجنين ينمو... ينشأ.. ويكون أهلاً لكي تسكن الروح فيه. ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾.

إنَّ نَشَأَ تدل على النمو وتدل على الخلق وعل الإيجاد من العدم، وفي هذه المرحلة ينمو البدن، والروح تنفخ فيه وتتم النشاة الكاملة.

وبنهاية هذه المرحلة لا يوجد مخلوق في الوجود يماثل هذا الإنسان ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾.

هذه الأطوار كما ترون... واقرأوا معنا بقية الأطوار في نفس الآية (وببيان لغوي ساحر): ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾[١]. المتكلم واحد، المخبر واحد، والسياق واحد... آية بعد آية في سورة واحدة. والحمد لله.

يقول العالم «كيث. ل. مور» المصطلحات القرآنية تتميز بالبساطة والشمولية والوضوح ويمكن تبنيها كنظام جديد من التصنيف وذلك أن مراحل تطور الجنين متغيرة ومعقدة بسبب التغيرات المستمرة التي تطرأ على الجنين.

يتضح لي أن هذه الأدلة حتماً جاءت لمحمد ﷺ من عند الله ـ عز وجل.

قال في نهاية الحديث: أنا سأضع هذه المصطلحات في الطبعات القادمة من كتابي «علم الأجنة». وهذا ما فعله هذا العالم الكبير. وقد قدم محاضرة في كندا وعلى التلفزيون بعنوان «مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة». وهذه الأبحاث كلها وشهادات العلماء مدونة ومسجلة بالصوت والصورة ومتوفرة.

. الرئيس الألماني في نهاية ١٩٨٩ أعلن في بلده عند افتتاحه مؤتمر «الجنين» بأنه لا توجد نظرية ولا كتاب أعطى تصوراً كاملاً ومنطقياً لخلق الإنسان وتشكل الجنين إلا الإسلام»[٢].

---

(١) سورة المؤمنون ـ الآيات: ١٥ ـ ١٦.

(٢) عن مجلة نهج الإسلام العدد ٤١ عام ١٩٩٠.

البروفيسور «ج.س. جوريجر»[١]

أستاذ في كلية الطب بجامعة جورج تاون بواشنطن

في موضوع النطفة الأمشاج

قال: لم يثبت أن الأجنة خلقت على أطوار إلا في القرن العشرين. قدم بحثاً في المؤتمر العلمي السادس بالرياض عن هذه الأطوار وعن جهل البشرية بهذه الأطوار وتحدث أيضاً عن شمول ودقة هذه المصطلحات بألفاظ سهلة اشتملت كل الحقائق.

وفيما قال في هذا المؤتمر... هناك آية تصف تشكل الجنين من النطفة الأمشاج، وهو ما خرج به العلماء بعد البحث والدراسة، بأن الجنين يتشكل من ماء الرجل وماء المرأة.

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[٢].

أمشاج: جمع مشج وهي الأخلاط، يقال: مشجت هذا بهذا إذا خلطته.

هناك حديث للرسول محمد ﷺ: أن يهودياً مر بالنبي ﷺ فقال سأسأله عن شيء لا يعلمه إلا نبي: يا محمد، مم يخلق الإنسان؟ فقال الرسول ﷺ: «يا يهودي، من كل يخلق، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة» فقال اليهودي: هكذا كان يقول من قبلك[٣].

ومما قاله هذا العالم: هناك آية معجزة في القرآن: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ﴾[٤].

حسب أحدث المكتشفات: يحمي الجنين في رحم الأم ثلاث أحجبة أو طبقات

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) سورة الإنسان ـ الآية: ٢.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

(٤) سورة الزمر ـ الآية: ٦.

(موضحة في الصور) وهي كما يلي: ١ ـ الجدار الخارجي البطني. ٢ ـ الجدار الرحمي. ٣ ـ السائل الذي يسبح فيه الجنين.

القرآن يقر بأن بداية خلق الإنسان من طين وهذا علمي وحقيقي: العلماء أخذوا الطين وحللوه، فوجدوا أنه يتكون من ثمانية عشر عنصراً منها: البوتاسيوم والحديد والمغنزيوم والفسفور والكلس والنحاس واليود وغير ذلك، ثم درسوا جسم الإنسان فوجدوه يتكون من نفس العناصر والمواد.

قال الرسول ﷺ : «**إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن**[1] **والخبيث والطيب،** . . .»[2].

---

(١) الحزن: أي الصعب.

(٢) حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم والبيهقي.

البروفيسور «جولي سيمسن»[١]
أستاذ أمراض النساء والولادة ـ شيكاغو
في موضوع المستودع والمستقر

أثار موضوع هام في الوراثة هو أن البرنامج الوراثي للإنسان يوجد في نطفة الرجل، ويتحدد فيه تفاصيل الإنسان الذي سيولد أذكر أم أنثى.

فلما قرأنا عليه الآية: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾[٢].

قال: لا يمكن أن يكون هذا إلا من عند الله، فهذا اكتشاف حديث تم بواسطة المجهر الالكتروني بعد أن رأينا الصبغيات وتبين لنا أن نطفة الرجل هي التي تحدد جنس المولود، ذكراً أم أنثى. فحتى هذا الوقت الكثير من الناس يعتقدون بأن المرأة هي التي تأتي بالذكور أو الإناث.

وحسب أحدث المكتشفات، فإن صفات خلق الإنسان موجودة في شفرة خاصة في النطفة: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾[٣].

من أخبر محمداً ﷺ أن الإنسان مقدر في داخل النطفة بكل تفاصيله التي سيكون عليها: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[٤].

الجنين (حسب الصور التي أخذها العلماء بالمجهر الالكتروني) في الأسبوع السابع، تبدأ أعضاءه تظهر بشكل واضح ومميز، تبدء الصورة تظهر في الأسبوع السابع أي ٤٢ يوماً أي ٦ × ٧= ٤٢ يوماً.

ماذا يقول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح، هذا جزء منه: «**يجمع أحدكم في بطن أمه في أربعين يوماً، وإذا مر بالنطفة إثنان وأربعون ليلة بعدما تستقر في الرحم بعث الله ملكاً فصورها، وكون عظمها ولحمها وجلدها، وخلق سمعها وبصرها، ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى**»[٥].

---

(١) من اسطوانات مسجلة بالصوت والصورة، في أحد المؤتمرات العلمية.
(٢) سورة النجم ـ الآيات: ٤٥ ـ ٤٦.
(٣) سورة عبس ـ الآيات: ١٧ ـ ١٩.
(٤) سورة آل عمران ـ الآية: ٦.
(٥) أخرجه مسلم وأبو داود والطبراني.

ثم تبدأ الأعضاء التناسلية بالظهور، هنا يستطيع الأطباء تحديد جنس المولود وقبل ذلك غير ممكن. وتعبير «بعدما تستقر في الرحم» معناه أنها كانت قبل الاستقرار متحركة، ثم تستقر، حيث تشق جدار الرحم وتدخل كما تشق التربة وتوضع البذرة وتدفن ويغطى عليها.

ففي كتب الطب والتشريح والأجنة تذكر هذه المرحلة وتسمى «مرحلة الغرس» وهم يشبهون الرحم بالتربة، وهم يظنون بأنهم يأتون بوصف جديد ولكنهم سيفاجئون عندما يرون الآية الكريمة: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾[1].

هناك آية وصفت الجهاز التناسلي للإنسان في كلمتين:

المستقر (وهو الرحم) والمستودع (وهو الخصيتان في الذكر والمبيضان في الأنثى) فهما مستودع نطف الذكر والإنثى، التي منها تخرج هذه الأجيال، والتي توجد منذ الطفولة إلى أن يتم انقسامها. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[2]. ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[3].

تتحرك نطفة الرجل من منيه في رحلة صعوداً من المهبل ثم تسير نطفة المرأة (البويضة) حتى الثلث الأخير، وبعد التلقيح وتكوين النطفة الأمشاج، تسير في رحلة عكسية نحو الرحم حيث تكون بطانتها مهيأة لانغراز النطفة فيها، ثم تحفر وتتعلق وتبدأ النطفة بالنمو حيث تتمتع بالتغذية المؤمنة والحماية الكاملة.

في لغة العرب: قر: سكن واطمأن وثبت. أهل القرار: أهل الحضر المستقرون في منازلهم.

أليس هو التعبير المعجز ذلك التعبير القرآني.. «المستقر» هذه الكلمة التي اختصرت علماً كاملاً لم يعرف إلا الآن.

يقول ذلك العالم: إن هذه الكلمة كافية كدليل لا يقبل الشك على أن القرآن الكريم من عند الله. وأن قائلها هو نفسه الذي خلق الرحم وأحاط بوظائفها.

---

(١) سورة البقرة ـ الآية: ٢٢٣.
(٢) سورة الأنعام ـ الآية: ٩٨.
(٣) سورة الحج ـ الآية: ٥.

البروفيسور «ت.ف. برتان»[١]

رئيس قسم الأجنة بجامعة مينوتوفا بكندا

تم اللقاء بهذا العالم عن طريق البروفسيور «كيث. ل. مور» الذي أطلعه على أطوار الجنين في القرآن الكريم.

قام هذا العالم بعمل بحث حول أطوار الجنين في القرآن سماه: «طور النشأة» ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾[٢]. يقول: إن هذا العلم لم يصل لمحمد ﷺ إلا من عند الله ـ عز وجل.

وفي بحث طبي في مؤتمر القاهرة الدولي: بعد أن أطلع على الحديث الشريف: **«وما ظهرت الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا»**[٣].

قال هذا العالم: إن هذا الحديث باهر إذا عرفنا أنه ذكر منذ ١٤ قرناً، فالعلاقات الجنسية غير الشرعية والممارسات الجنسية المنحرفة هي من أسباب أمراض عديدة لم تكن موجودة قبل هذه السنوات.

عدد من دراسات علم الأوبئة قد أظهرت بوضوح: هناك علاقة متبادلة بين التعرض للعلاقات الجنسية المتعددة والسرطان المرضي، المحتمل الحدوث بدرجة عالية.

الفاحشة: الخيانة ـ الشذوذ الجنسي، والبهيمية وكل الانحرافات الجنسية الأخرى.

والأمراض: الهربيز والإيدز وغيرها... أمثلة واضحة على أمراض جديدة ظهرت في الوقت الحاضر وليس لدينا علاج لها.

---

(١) من اسطوانات مسجلة بالصوت والصورة.

(٢) سورة المؤمنون ـ الآية: ١٤.

(٣) رواه أبو داود والحاكم عن ابن عمر.

الدكتور «صلاح المغربي»
عضو في الجمعية الأمريكية لطب الفضاء
في موضوع نقص الضغط الجوي
يشاركه في نفس الموضوع أربعة علماء أمريكان من الأرصاد الجوية(١)

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾(٢).

الصَعد: العلو، هذا النبات ينمو صعداً، ويصعد: يرقى، يعلو.

عندما اخترعت الطائرات التي تحلق عالياً.. وجدوا أنه كلما صعد الإنسان إلى أعلى نقص الأُكسجين ونقص الضغط الجوي.

نقص الضغط الجوي يؤدي إلى ضيق الصدر... لماذا؟ يقول الدكتور صلاح(٣): الهواء يدخل الصدر أثناء التنفس فيضغط على الرئتين، فيوسع الصدر، فإذا طردت الهواء ضاق الصدر، وارتفعت عضلة الحجاب الحاجز من أسفل وضاق الصدر، فعندما يقل ضغط الهواء الداخل يضيق الصدر، وعندما ينقص الأُكسجين تزداد الحاجة للأكسجين ليغطي حاجة الاحتراق العالية بالجسم.. فيصاب بحالة، كالذي يجري ويزداد الاحتراق بجسمه أثناء سيره أو جريه.

فكلما صعد الإنسان إلى أعلى حدث له شيئان: ضيق في الصدر، وحرج في التنفس، إن ارتفاعاً بحوالي ٥٠٠٠متر أو أكثر يصحبه انخفاض في الأكسجين في الدم وقلة في كثافة الهواء وانخفاض الضغط الجوي مما يؤدي إلى عسر التنفس، والزرقة، وعندما يصل الارتفاع إلى ٧٠٠٠م يفقد وعيه في دقائق، وهذه الحالة تقع للطيار الذي تتعطل أجهزة التكيف في (كابينة) طائرته.

---

(١) بحث قدمه هؤلاء العلماء في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة.

(٢) سورة الأنعام ـ الآية: ١٢٥.

(٣) المؤتمر العلمي الأول عن الإعجاز العلمي في القرآن الذي عقد في «إسلام آباد».

وهذه حقيقة لم نكتشفها إلا منذ ٩٠عاماً فقط عندما حلَّق الأخوان «رايت» بأول طائرة وشعرا حينها بالضيق.

قد يتساءل البعض بأنه يمكن للناس زمن تنزيل القرآن أن يعرفوا هذا عندما يصعدون إلى الجبل. والجواب: لا، فأعلى قمة في الجبل العربية لا تتعدى ٣٠٠٠ وعلى هذا الارتفاع فإن معرفة صعوبة التنفس من المستحيل.

البروفيسور «سويريدا»[١]
من كبار علماء جيولوجيا البحار في اليابان
في موضوع تكون الجبال

كان يرفض أي شيء له صلة بالأديان، وعندما تحدث إليه أحد علمائنا قال: لا تكلمونا عن الدين فهو السبب في التخلف.

فوجه له بعض الأسئلة التي تتعلق بالجبال:

هل اكتشفتم جذوراً تحت الجبال؟ قال: نعم، لكل جبل جذر وهو يعادل ٤,٥ ارتفاع الجبل، ولا يمكن أن تصل إلى هذا الجذر إلا على مسافة ٣٥ كيلو متر من سطح الأرض.

سألناه: متى عرفتم ذلك، قال: حديثاً، تقريباً منذ ٢٥ عاماً فقط.

قلنا: كان التعريف القديم للجبال بأنها: كتلة مرتفعة عن الأرض، وكل الكتب حتى وقتنا هذا تطلق على الجبال أنه النتوء الظاهر فوق سطح الأرض. وهذا التعريف ثبت أنه خطأ. . . فالجبال ممتدة أيضاً في باطن الأرض، فالتعريف الصحيح للجبال هو أنها «أوتاد».

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[٢].

وجد العلماء أن هناك انحناء إلى أسفل تحت القارة، يغوص في الطبقة السفلية تحت القارة ليمنعها من الحركة، حيث تطوف القارات فوق طبقة شبه سائلة من الصخور المنصهرة النارية، ويصدم بعضها ببعض، مما يحدث زلزلة شديدة، فما الذي يمنع هذا التصادم في الغالب، إنه هذا الجزء النازل الذي هو جذر الجبال الذي يمسك هذه الطبقة من الأرض بهذه الطبقة التي تحتها، وبقدر وجود الجبال يكون الإمساك والثبات لهذه القارات.

---

(١) نفس المصدر صفحة ٧٦.

(٢) سورة النبأ ـ الآيات: ٦ ـ ٧.

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [1].

﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [2].

سألنا ذلك العالم عن دور الجبال في الكرة الأرضية: قال: هذا علم متقدم جداً. . دور الجبال هو تثبيت القشرة الأرضية.

رجعنا إلى هذا العالم وسألناه عن رأيه (بعد أن أطلعناه على آيات القرآن التي تتعلق بالجبال) قال: أشعر بالغرابة مما قلتموه حقيقةً وجدير بالملاحظة، فهذا العلم لا يمكن أن يكون من علم بشر قبل هذه السنوات.

---

(١) سورة النحل ـ الآية: ١٥.

(٢) سورة النازعات ـ الآية: ٣٢.

البروفيسور «ليونارد انجل»

عالم جيولوجيا مشهور

في موضوع الجبال: وتد الأرض

في كتابه: البحر ص٨.. بعد أن عرف ما عرف من علمائنا بدأ يطلق على السلاسل الجبلية في كتاباته الحديثة: «وتد الأرض».

وقد بدأ التنويه بهذه الاكتشافات مؤخراً في كتب الجغرافيا وصدق الله إذ يقول: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾(١).

الوتد: (حسب لغة العرب): هو كتلة من الخشب مدببة الطرف تثبت أركان الخيمة إلى الأرض، أغلبها يكون مدفوناً في الأرض ووظيفتها التثبيت.

يقول هذا العالم: إنه وصف في غاية البلاغة ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾(٢). وفي غاية الإعجاز، لأنه بلفظة واحدة وصف كلاً من الشكل الخارجي والامتداد الداخلي والوظيفة. حيث وصف كلاً من النتوءات الخارجية البارزة من الجبال وامتداداتها الداخلية ودورها الحقيقي كوسيلة للتثبيت.

الجبال وسيلة رائعة لتثبيت كتل القارات التي تطفو فوق الصهارة من المادة اللدنة النارية السائلة، وجعلها صالحة للعمران، كما أنها وسيلة رائعة لتثبيت الأرض في دورانها حول محورها حول الشمس.

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾(٣).

وهذا البيان القرآني المعجز في كلمة «أوتاد» يظهر تفوق القرآن الكريم على جميع المعارف الإنسانية، التي لا تزال إلى يومنا هذا تورد تعريف الجبل في أكثر

---

(١) سورة الذاريات ـ الآية: ٢٠.

(٢) سورة النبأ ـ الآية: ٧.

(٣) سورة النازعات ـ الآية: ٣٢ ـ ٣٣.

القواميس العلمية اللغوية انتشاراً على أنه نتوء فوق سطح الأرض. الغلاف الأرضي ممزق بشبكة من الصدوع يُقسم هذا الغلاف إلى عدد من الألواح التي تطفو فوق نطاق الضعف الأرضي، وتتحرك مع دوران الأرض حول محورها.

﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾[1].

كما تتحرك باتساع قيعان البحار والمحيطات، مما يجعلها تميد وتضطرب بصورة لا تسمح لتربة أن تتجمع، ولا لماء أرضي أن يخزن ولا لعمران أن يقام ولا تهدأ هذه الحركة إلا بتكون الجبال التي تثبت بامتداداتها العميقة كتل القارات المتحركة في هدوء (كما حدث في ارتطام شبه القارة الهندية بالقارة الآسيوية وتكون جبال الهيمالايا التي ساعدت في تثبيت هاتان القارتان بعد ذلك. ومن العجيب أن لرسول الله ﷺ حديثاً صحيحاً في مسند أحمد بن حنبل وجامع الترمذي: «**لما خلق الله الأرض جعلت تميد**[2]، **فخلق الجبال فعاد بها عليها فاستقرت**».

إن الجبال ذات الكتل الهائلة مع جذورها لا تدعمها قشرة أرضية قوية صلبة تحتها، ولكنها «تطفو» في بحر من الصخور اللدنة شبه المنصهرة والكثيفة، حيث تطفو الجبال في الأعماق بما يشبه الطريقة التي تطفو بها جبال الجليد في مياه المحيطات، وهذا من معاني الآية ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾، والمرسى لا يكون إلا للأشياء الطافية فوق الماء (وهي الطبقة السائلة المنصهرة كما أوضحنا).

هذا السر لم يتأكد منه الباحثون إلا عام ١٩٥٦ كما ذكر ذلك الدكتور فاروق الباز المختص في علم الجيولوجيا والفضاء ومدير معهد «سيمس سونيان» لعلوم الأرض والفضاء.

---

(١) سورة الطارق ـ الآية: ١٢.

(٢) تميد: تضطرب.

البروفيسور «فرانك برسي»
كان مستشاراً علمياً للرئيس كارتر
في موضوع ماء الأرض

يقول عن بداية الخلق للأرض: كان هذا الصهير يقذف إلى أعلى في صورة براكين، فيكون جسم القارة، ويجعلها تمتد وتتسع وبنفس العملية تم إخراج الماء إلى البحار، وبنفس العملية خرج ثاني أكسيد الكربون وبعض الغازات التي هي الشرط الأساسي لخروج النبات بعد وجود التربة وبنفس العملية تكونت الجبال الأولى الاندفاعية.

﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾[١].

حار العلماء منذ القدم من أين جاء ماء الأرض[٢]، ومنذ سنوات قريبة استطاع العلماء أن يدرسوا ويحللوا الغازات المنبثقة من فوهات البراكين، أدركوا أن أغلب تلك الغازات هو بخار ماء الذي يكون أكثر من ٧٠٪ من مجموع الغازات المندفعة من فوهات هذه البراكين.

مما أكد أن ماء الأرض قد أخرجه الله ـ تبارك وتعالى ـ ولا يزال يخرجه لنا من داخل الأرض وهذا مصداق للآية. ومن رحمة الله.. أن جعل الطبقة الدنيا من الغلاف الغازي للأرض تتبرد باستمرار مع الارتفاع حتى تصل إلى ٨٠درجة مئوية تحت الصفر.

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾[٣].

فلولا هذه الطبقة الباردة ما عاد إلينا بخار الماء أبداً، وبالتالي ما كانت الأرض صالحة للحياة.

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴾[٤].

---

(١) سورة النازعات ـ الآيات: ٣٠ ـ ٣١.
(٢) من كتاب الإعجاز العلمي في القرآن للدكتور زغلول النجار.
(٣) سورة الأنبياء ـ الآية: ٣٢.
(٤) سورة الطارق ـ الآية: ١١.

البروفيسور «بالما»
أستاذ في علوم الجيولوجيا في أمريكا
في موضوع أدنى الأرض

يقول الله ـ جلّ وعلا ـ في القرآن الكريم: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾(١).

أدنى (في لغة العرب): تعني الأخفض.

عندما التقى أحد علمائنا مع واحد من كبار أساتذة الجيولوجيا «بالما» وكان في زيارة إلى المملكة العربية السعودية وأحضر معه نموذج للكرة الأرضية، فيها تفاصيل الارتفاعات والانخفاضات وأعماق البحار، مقاسة بالمتر.

فلما جلس قلنا له: عندنا عبارة في القرآن، هي آية تقول بأن منطقة بيت المقدس حيث دارت المعركة بين الروم والفرس هي أخفض منطقة في العالم.

فلما عرف أنها من القرآن قال: ليست أخفض الأرض، يوجد منخفضات في هولندا تحت مستوى البحر وفي كندا وأخذ يتذكر أخفض المناطق في العالم.

قال العالم المسلم: أنا متأكد مما أقول.. استغرب الرجل.

رد العالم الأمريكي: تلك الارتفاعات والانخفاضات وأدار المخططات فلما وصل إلى منطقة بيت المقدس والمنطقة التي حولها وجد سهماً طويلاً خارجاً من المنطقة ومكتوب بخط واضح: أخفض منطقة في العالم... تنخفض ٣٩٢ عن سطح البحر.

فلما تأكد قال: صحيح .. صحيح! الأمر كما قلت.. إنها أخفض منطقة في الأرض.

---

(١) سورة الروم ـ الآيات: ٢ ـ ٤.

قلنا: هناك أمر آخر، الآية تقول أن الروم سيُغلبون في بضع سنين من بعد غُلبهم من قِبل الفرس.

البضع: هو من السبع إلىٰ العشر وأغلبه السبع. وهذا ما حصل في تلك المعركة.

لنسأل أنفسنا الآن.. كيف يأتي لرسول الله وهو النبي الأمي في الأمة الأمية أن يحكم في نهاية معركة بين أكبر قوتين في الأرض في ذلك الزمان؟... كيف يحكم ويفصل في معركة لم تبدأ.. وحرب لم تقم، وحرب هو ليس طرفاً فيها، أيضاً هو لا يعلم ما قد يجد في فترة بضع سنين من قوة هذا الطرف أو ضعف ذلك الطرف.

عندها قال البروفيسور: هناك تفسير واحد.. أن هذا القرآن نزل بعلم من يعلم كل شيء. وأخفض منطقة علمناه بوساطة الأقمار الصناعية، فتلك أخفض منطقة وحسب الموسوعة البريطانية أيضاً.

الدكتور «موريس بوكاي» من كبار علماء فرنسا في عدة مواضيع[1]

عندما أرادت جمهورية مصر معالجة وإصلاح جثة فرعون وبعض الجثث، لما اعتراها بفعل الزمن من بعض الخلل. كان الدكتور «موريس» رئيس فريق الأطباء الذين طلب منهم معالجة هذه الجثث، بعد الدراسة: وجد في جثة فرعون أملاح بحر... وبعد التحري عن فرعون هذه الجثة وجد بعد الدراسة واستعراض بعض القرائن التاريخية أن هذه الجثة للفرعون (منفتاح) الذي خرج وراء سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ للحاق به وببني إسرائيل الفارين من مصر.

وجد أن عظمه مكسر مع أن جلده ولحمه لم يصبهما شيء، أي أن جسمه تعرض لضغط لين، لم يؤد إلى تشوه الجلد واللحم... وهذا يدل على أنه مات بضغط الماء الكبير على جسمه بعد الغرق.

أيضاً العظم عندما يكسر تخرج منه مادة شبيهة بالمواد الاسمنتية. وكل جسم يتعرض للغرق تظهر في جسمه علامات الغرق.

نتج أيضاً بعد الدراسة أن هذه الجثة لم تلبث طويلاً في الماء.

التقى الدكتور بالأطباء المصريين وأطلعهم على نتائج الدراسة وناقشهم في الموضوع، قالوا له: بأن هذا مثبت بالقرآن إذ يقول الحق ـ سبحانه ـ: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾[2].

أي أن الله نجى جسد فرعون ولكنه جسد بلا روح ليكون آية لمن يأتي بعده وبهذا تُظهر الرواية القرآنية تفوقاً بالنسبة للمعطيات التاريخية والجغرافية والأثرية، على الرواية التوراتية (الحالية) التي تنفي إيجاد جسد فرعون بعد موته.

---

(١) «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم»، للدكتور موريس بوكاي.
(٢) سورة يونس ـ الآية: ٩٢.

والبعثات العلمية الفرنسية والألمانية المصاحبة له والتي زارت مصر هي التي كشفت عن مومياء هذا الفرعون في مقابر طيبة، وهي موجودة الآن في صالة المومياءات الملكية في المتحف المصري بالقاهرة.

ففي التوراة الحالية (العهد القديم): ذكر للقصة في عدة مواضع، نأتي بأحدها: (وتبعهم المصريون ومعهم كل جياد فرعون وفرسانه، وهنا طما البحر وغرق فرعون وكل جيش فرعون، ولم يبق منهم أحد)[1].

بعد أن تبين للدكتور موريس أن القرآن هو الحق وسمع عن الإسلام ما سمع قرر أن يتعلم اللغة العربية، وأجادها وتفهم القرآن فهماً صحيحاً وعلمياً وكتب في ذلك كتباً ومؤلفات تتحدث عن مطابقة القرآن لأحدث المعارف والمكتشفات العلمية.

(ولم يكن وحده الذي تأثر بهذه الحقيقة التاريخية التي ذكرناها، فعدد لا بأس به من أفراد طاقم البعثة الألمانية والفرنسية تأثروا بهذه الحقيقة ومنهم من أسلم).

للدكتور موريس بوكاي عدة كتب تتعلق بعلم الأجنة وشتى فروع العلم التي وجدها في القرآن مطابقة للعلم الحديث... نورد منها ما لم يرد على لسان غيره من العلماء في هذا الكتاب حتى لا نكرر المواضيع ونطيل على القارىء.

من هذه المواضيع التي اخترناها، أولاً: المياه الجوفية، مصدرها، وعن أي شيء نتجت؟

يقول الدكتور موريس: إذا أخذنا بالاعتبار ما كانت عليه مختلف المفاهيم القديمة في هذا الموضوع، فإننا نستبين قوة الإعجاز العلمي في القرآن بتحديد السبب في تشكل المياه الجوفية، الذي لم يعرف إلا في القرن السابع عشر ولم يُؤكد إلا في القرن التاسع عشر.

وباستثناء بعض المفاهيم الفلسفية التي كانت سائدة والغير مقبولة عقلياً نورد رأي بعض العلماء في زمن تنزيل القرآن وبعده.

لقد كان لـ «تالس» العالم اليوناني المعروف نظرية دفع مياه المحيط وسقوطها

---

(١) سفر الخروج: ١٤، ٢٩.

بفعل الرياح على الأرض إلى داخل القارات، ثم تسربها في التربة.

وكان أفلاطون يؤيد هذه الأفكار، وظل لهذه النظرية الكثير من المؤيدين بما فيهم ديكارت حتى القرن الثامن عشر. أيضاً ليونارد دوفنشي الذي أثبت ما قاله أرسطو.

وقد كان أرسطو يفترض أن بخار ماء الأرض يتكثف في فجوات باردة من الجبال، ويكون البحيرات الجوفية التي تغذي الينابيع. وكان له العديد من المؤيدين حتى سنة ١٨٧٧.

ويعود تاريخ أول فكرة واضحة عن دور المياه إلى القرن السابع عشر لـ«برنار باليسي» الذي قال بأن المياه الجوفية تتأتى من تسربات مياه المطر في التربة.

فماذا يقول القرآن الذي أُنزل منذ ١٤٠٠سنة:

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾(١).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾(٢).

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾(٣).

هنا إشارتان معجزتان غير التي ذكرناها عن المياه الجوفية ومصدرها تدلان على أن منزل القرآن هو خالق كل شيء ومسيطر عليه، الأولى وهي عدم قدرة كل البشر على خزن مياه المطر، لولا أن أوجد الله بقدرته هذه الخزانات الطبيعية الهائلة في الأرض.

الثانية: هي دور الرياح في إنزال المطر. والذي عرفه العلماء في أيامنا هذه حيث كانت الخرافات تلف هذا الموضوع حتى العلماء مثل أرسطو الذي كان يتصور أن في السماء بحر من نار فلا تشكل السحب إلا على الجبال.

أما اليوم فيقول العلماء: السحاب كان بخاراً لا يرى، فحركته الرياح إلى منطقة باردة في طبقات الجو العليا فتكاثف، والرياح هي التي أظهرت السحاب، أي كان

---

(١) سورة المؤمنون ـ الآية: ١٨.

(٢) سورة الزمر ـ الآية: ٢١.

(٣) سورة الحجر ـ الآية: ٢٢.

موجوداً ولكن غير مرئي.

ففي القرآن عدة آيات وكل آية تشير إلى نوع السحب الذي صنفه العلماء اليوم:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾(١).

ويتحدث الدكتور «موريس» في كتابه عن حقيقة علمية أخرى لم تعرف إلا من فترة قريبة: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾(٢).

حسب أحدث معطيات علم أعضاء الحيوان، مركبات الحليب ترشح من الغدد الرضعية التي تتغذى من حصيلة هضم الأغذية التي تصلها بواسطة الدم السائل. إذ يلعب الدم دور المصدر والمورد للمواد المستخلصة من الأغذية ليجلب الغذاء للغدد الرضعية المنتجة للحليب كما تجلبه لغيرها من الأعضاء.

وهنا كل شيء ينشأ من منطلق وضع المحتوى المعوي بحضرة الدم في مستوى الجدار المعوي ذاته، وهذا يرجع إلى أبحاث كيميائية وعضوية في عملية الهضم.

حسب الآية كما يقول الدكتور: إن لكم في الأنعام عبرة، نسقيكم مما في داخل أجسامها والذي ينتج من الصلة ما بين محتوى الأمعاء والدم حليباً صافياً سائغاً.

بطن (في اللغة): تعني وسط أو داخل أي شيء، ومفهوم مصدر مركبات الحليب معبر عنها بحرف «من» وبالظرف «بين» الذي يعني شيء بين شيئين متلاصقين تقريباً.

يقول: إن وجود الآية التي تشير إلى هذه المعلومات في القرآن لا يمكن أن يكون له تفسير بشري بسبب العصر الذي أعطيت فيه.

الموضوع الثالث: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾(٣).

---

(١) سورة الروم ـ الآية: ٤٨..

(٢) سورة النحل ـ الآية: ٦٦.

(٣) سورة الحج ـ الآية: ٧٣.

آية قرآنية تتحدث عن حقيقة علمية معاصرة وكأنها تخاطبنا في هذا الوقت ضمن إطار لغوي معجز وساحر.

أحدث ما اكتشفه الباحثون في علم الحشرات:

أن الذباب مزود بغدد لعابية طويلة وغنية جداً باللعاب وبمجرد أن يأخذ الذباب شيئاً من الطعام، كحبة السكر مثلاً، سرعان ما يفرز عليها كمية كبيرة من اللعاب في الحال وتحوله من فوره إلى مادة أخرى.

فحتى لو اجتمع كل العلماء مع علمهم وأجهزتهم لا يستطيعون أن يستردوا ما سلبهم الذباب. يقول الدكتور: ما كان لبشر أن يعلم ذلك قبل تقدم العلم وأجهزته المتطورة.

الموضوع الرابع: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾[1].

ربت: من الربو وهو الزيادة.

ـ ماء المطر إذا نزل إلى التربة أحدث لها «اهتزازات» تهتز منها حبيبات التربة... حبيبات صغيرة، أكبر حبيبة يبلغ قطرها ٠,٠٠٠٣مم، هذه الحبيبات عبارة عن صفائح بعضها فوق بعض تتكون من معادن نختلفة، صفائح متراصة إذا نزل عليها المطر تكونت داخلها شحنات كهربائية مختلفة بين الحبيبات بسبب اختلاف هذه المعادن، ويحدث «تأين» فتهتز هذه الحبيبات، وبدخول الماء من عدة جهات إلى تلك الحبيبات يُحدث لها اهتزازاً، وتربو أي تزيد في الحجم بسبب دخول الماء[2].

ـ هذا الاهتزاز له فائدة كبيرة فهو يُوجد مجالاً لدخول الماء بين الصفائح المتلاصقة، فإذا دخل الماء بين الصفائح نمت وربت.

---

(١) سورة الحج ـ الآية: ٥.

(٢) في المؤتمر العلمي الأول في إسلام آباد تقدم أحد علماء النبات وقال: هناك آية في القرآن تخبرنا عن حقائق عرفناها الآن، ففي عام ١٨٢٨ اكتشف عالم بريطاني اسمه «براون»: أن ماء المطر إذا نزل إلى التربة أحدث لها «اهتزازات».

فإذا تشبعت بالماء أصبحت هذه الفراغات بمثابة خزانات للماء، النبات يستمد الماء منها طوال شهرين، وإلا.. لكان الماء يغور في التراب، ويقتل النبات في أسبوع.

ـ الذي اكتشف هذا عالم اسمه «براون» وسميت «اهتزازة براون».

ـ الذين يؤرخون العلم.. عليهم أن لا يقولوا: إن أول من ذكر هذا هو «براون».. فإن أرادوا إنصافاً فليقولوا أن أول من ذكر هذه الظاهرة هو القرآن.. كتاب الله ـ عز وجل ـ المكنون.

البروفيسور التايلاندي «تاجاثان تاجاسن»
من كبار علماء العالم في علم التشريح
في موضوع أعصاب الجلد

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾(١).

كان الناس من قبل يتصورون أن جسم الإنسان حساس كله، داخلياً وخارجياً يتأثر بالألم، حتى تقدم علم التشريح فجاء بحقيقة قال فيها: لا، ليس الجسم كله، الجلد فقط الذي يشعر بالألم، بدليل أنك لو وضعت إبرة في جسم إنسان فإنها بعد أن تدخل من الجلد إلى اللحم لا يتألم.

ثم شرحوا مقطعاً من الجلد مع اللحم ووضعوه تحت المجهر، وجدوا أن نهايات الأعصاب تتركز في الجلد. وأن أعصاب الإحساس بالحرارة والبرودة لا توجد إلا في الجلد فقط.

أما عندما يخبرنا الله بالعذاب الذي سيكون في المعدة ـ فلا يكون بتغير المعدة بمعدة أخرى.

﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾(٢).

وجد العلماء ـ تشريحياً أنه لا يوجد أعصاب للإحساس بالحرارة والبرودة بالأمعاء، فإذا قطعت الأمعاء ونزلت في الإحشاء فإنه من أشد العذاب، تلك الآلام التي نحسها عندما تنزل مادة غذائية إلى الأحشاء عند المصاب بقرحة المعدة، وعندئذ يحس المريض كأنه يطعن بالخناجر.

---

(١) سورة النساء ـ الآية: ٥٦.

(٢) سورة محمد ـ الآية: ١٥.

عندما عرضنا الآيات المذكورة على ذلك العالم قال: أهذا الكلام قيل منذ أربعة عشر قرناً، قلنا: نعم. وشرحنا له مجموعة من الآيات، قال: إن هذه الحقيقة لم يعرفها العلم إلا حديثاً، ولا يمكن أن يكون قائلها بشراً، بل هي من الله سبحانه، الآن حان الوقت لأن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وكان هذا على ملأ من الناس في المؤتمر الإسلامي بالسعودية(١).

البروفيسور البريطاني «نلسون» في موضوع الطفيليات

عندما أطلع على الأحكام الشرعية والقواعد الصحية في القرآن والسنة أصابته الدهشة، وأكثر ما لفت انتباهه: عندما قرأ الحديث: عن رسول الله ﷺ: «**لا يبلون أحدكم في الماء الراكد ثم يغتسل به**».

قال: كيف تقرأون هذا الحديث وتمرون عليه، فلو اتبع المسلمون هذا الحديث لن يبقى ٨٠٪ من مرض البلهاريسيا.

قال: هذا علم من عند الله، علم الطفيليات والجراثيم علم متقدم، فكيف استطاع الرسول ﷺ معرفة هذا.

---

(١) وهذا مسجل على اسطوانات بصوته وصورته.

الدكتور «استروخ»

من أشهر علماء وكالة ناسا الأمريكية للفضاء

في موضوع الحديد وموضوع الكون التام المحكم

﴿... وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[1].

ذرة الحديد هي أكثر الذرات تماسكاً، لذلك فإن الحديد له من الخواص الطبيعية والكيميائية المميزة ما يجعله ذا بأس شديد. أيضاً لولا حديد الأرض ما أمكن أن يكون لها مجال مغناطيسي. ولولا وجود هذه الكتلة الضخمة من الحديد في قلب الأرض ما استطاعت أن تمسك بغلافها الغازي أو المائي.

الحديد جزء من المادة الخضراء في أجسام كل النباتات، كما يشكل جزءاً من المادة الحمراء في دماء البشر والكثير من الحيوانات. فالحديد لازمة من لوازم الحياة.

حينما نظر العلماء إلى الشمس وجدوا أن عملية الإندماج النووي في داخلها لا يصل إلى طبقة الحديد الموجودة داخلها، فهي تتوقف قبل الحديد بمراحل.

درجة حرارة الشمس لا تكفي لتكوين الحديد، فنظر العلماء إلى نجوم خارج المجموعة الشمسية فوجدوا نجوماً تسمى «المستعرات» درجة حرارتها تفوق حرارة الشمس ملايين المرات[2].

وجدوا أن هذه الأماكن هي الوحيدة في الكون المدرك التي يمكن أن يتخلق فيها الحديد بعملية الاندماج النووي. لاحظوا أن النجم إذا كانت كتلته أقل من أربعة مرات قدر كتلة الشمس وتحول قلبه إلى الحديد ينفجر وتتناثر هذه الأشلاء في صفحة الكون، وتدخل في مجال جاذبية أجرام سماوية تحتاج إلى هذا الحديد.

---

(١) سورة الحديد ـ الآية: ٢٥.

(٢) من كتاب الإعجاز العلمي في القرآن للدكتور زغلول النجار.

أرضنا حينما انفصلت عن الشمس لم تكن سوى كومة من الرماد ليس فيها شيء أثقل من الألمنيوم والسيليكون، ثم رجمت بوابل من النيازك الحديدية. ثم انصهر وصهرها وجعلها طبقات، كان آخرها أربعة أوشحة بكل منها نسب متناقصة من الحديد، ثم الغلاف الصخري للأرض وبه ٥,٦٪ من الحديد.

وثبت للعلماء أن: كل الحديد في أرضنا بل في مجموعتنا الشمسية قد أنزل إلينا إنزالاً.

هذا ما شرحه لنا العالم «استروخ» الذي أكد أن قدرات الحديد لها تكوين مميز، إن الالكترونات والنيترونات في ذرة الحديد كي تتحد، تحتاج إلى طاقة هائلة تبلغ أربع مرات مجموع الطاقة الموجودة في مجموعتنا الشمسية.

لذلك فلا يمكن أن يكون الحديد قد تكون على الأرض، ولا بد أنه عنصر غريب وفد إلى الأرض من خارجها.

فلما ترجم له بعض علمائنا في أحد المؤتمرات العلمية الإسلامية معنى الآية السابقة الذكر ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ قال: إن هذا الكلام لا يمكن أن يكون من كلام بشر، فهذا لا يمكن أن يعرف قبل عشر سنوات.

وللمصادفة الجميلة أنه... وبحسب الجدول الدوري للعناصر.. أن رقم السورة يساوي الوزن الذري للحديد وهو «٥٧» ورقم الآية «٢٦» مع البسملة مساوياً للعدد الذري للحديد.

الموضوع الثاني: عندما سُئِلَ هذا العالم: هل هناك شقوق في السماء أو خلل أو فراغات؟

ابتسم وقال: إنكم تحدثونني عن علم كامل ومستقل اسمه «الكون التام المحكم».

قلنا: وماذا يعني هذا؟

قال: إنكم لو أخذتم نقطة في السماء، وتحركتم بها لمسافة معلومة، ثم تحركتم نفس المسافة في الاتجاه الثاني والثالث والرابع... فإن كتلة المادة في جميع الاتجاهات لابد وأن تكون متساوية، ولو لم تكن متساوية، ما اتزنت هذه النقطة أبداً

وتحركت نحو منطقة الضعف والخلل.

فليس هناك خلل في بناء السماء أبداً.

تقول الآية الكريمة: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾[1].

بنيناها: تعني الإحكام في بناء وحدات السماء.

وأضاف: أننا اخترعنا أجهزة تلسكوب لاسلكية توضع على محطات فضاء بعيدة عن الأرض وبرزت لنا أشياء تؤيد أن الكون محكم تام يحكمه قانون واحد.

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾[2].

---

(١) سورة ق ـ الآية: ٦.

(٢) سورة الملك ـ الآية: ٣ ـ ٤.

الفيزيائي الباكستاني «محمد عبد السلام»
الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٧٩
في موضوع «قرين المادة»

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١].

يخبرنا القرآن بأن الله ـ عز وجل ـ جعل كل المخلوقات الحية زوجين، وكلمة «كل شيء» فيها شمول أكثر من النبات والحيوان والإنسان. . . إنها تشمل الجماد أيضاً. . فهل الجماد أزواج؟

لمعرفة هذا نرجع إلى فيزياء الجسيمات.

في النصف الأول من القرن العشرين كان أحد الفيزيائيين الانجليز اسمه: «ديراك Dirak» يقوم بأبحاث على معادلات الالكترونات، وحصل على مجموعتين من المعادلات إحداها للإلكترونات السالبة الشحنة والأخرى لجسم مجهول ذو شحنة موجبة.

وبعد عدة سنوات بدأ بالبحث عن قرائن الجسيمات وبعد أن وجد قرين الالكترونات، بدأ باكتشاف هذه القرائن الواحد تلو الآخر وبدأ بتقسيمها إلى أنواع، وسنكتفي بذكر نتيجتها النهائية، وهي وجود قرين لكل جسيم بل ولكل جسم.

واكتشاف قرين المادة يخبرنا بوجود عالم آخر يناظر عالمنا المادي، ويتكون من قرائن الجسيمات أي من قرين المادة.

قرائن المادة التي يتم انتاجها في الأشعة الكونية أو في معجلات الجسيمات، مجرد أن تنخفض سرعتها بعض الشيء تحتم عليها أن تواجه مصيرها وهو المحق أو الإبادة بواسطة المادة المقابلة لها التي تملأ أجواء الأرض، ويختفي الاثنان في شيء يشبه بالانفجار متحولين كليهما إلى طاقة معظمها في صورة أشعة غاما.

---

(١) سورة الذاريات ـ الآية: ٤٩.

قد نستطيع الجزم بأن هناك ما يمسك قرائن المادة من الالتقاء بالمادة وإلا تبددت أكثر المواد الموجودة بين النجوم وتحولت إلى طاقة.

والسؤال الذي يواجه العلماء من الذي يمنع المجره وقرينها من الاقتراب من بعضها ومن ثم التبدد والزوال..؟ فسبحان القائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾[1].

فتبدد المجرات وقرائنها وزوالها بهذه الطريقة قد يتم في لحظات ويكون بنتيجتها كمية هائلة من الطاقة.

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ﴾[2].

وهذا ما شوهد حالياً لنجوم تنفجر في السماء وشكلها كما صورت بالتلسكوبات كالوردة أطرافها تظهر بلون أحمر.

ولكن إذا حدث وتبددت مجرتنا مع قرينتها فذلك يعني تبدد كل مستوى المجرة وعند ذاك: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾[3].

وإذا تبددت النجوم بهذه الطريقة وتحولت كتلتها إلى طاقة فعندئذ تتلاشى تلك القوى التي تجذب الكواكب إلى النجوم في مساراتها فتتبعثر الكواكب وتنتثر.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾[4].

إنها علامات الساعة التي أخبرنا بها الخالق البارئ، وهي موافقة لموضوع فيزياء الجسيمات وقرائنها.

فزوال المادة وقرينها أصبح حقيقة علمية تحدث يومياً في معجلات الجسيمات التي تحول المادة إلى طاقة.

فسبحان القائل في محكم آياته: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾. حتى

---

(١) سورة فاطر ـ الآية: ٤١.

(٢) سورة الرحمن ـ الآية: ٣٧.

(٣) سورة المرسلات ـ الآيات: ٨ ـ ٩.

(٤) سورة الانفطار ـ الآيات: ١ ـ ٣.

الجماد أو المادة في صورة زوجين كما كل شي في الكون.

هذا ما ذكره الفيزيائي المسلم «محمد عبد السلام» الباكستاني الجنسية الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٧٩.

الذي قام بأبحاث هامة في موضوع الجسيمات وقرائنها وكان له الفضل في وضع النظرية التي جمعت بين قوتين رئيسيتين من القوى الأربع المؤثرة في هذا الكون وهما القوة الكهرومغناطيسية والقوة النووية الضعيفة.

صرح بعد حصوله على الجائزة أن الآية: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ كانت بمثابة إحساس خفي وإلهام قوي له وذلك أثناء أبحاثه على قرائن الجسيمات المادية.

فقد فهم هذه الآية فهماً شاملاً، تنطوي بين كلماتها حقيقة وجود قرائن للمادة كحقيقة وجود أزواج في مملكة النبات والحيوان والإنسان.

ولقد أثبت إمكانية تحول فوتون الطاقة في ظروف معينة إلى زوجين من الجسيمات المادية هما «الالكترون السالب والالكترون الموجب» وأطلق على هذه الظاهرة اسم «إنتاج الأزواج».

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾(١).

---

(١) سورة سبأ ـ الآية: ٦.

خاتمة

وبعد فما قدمته في الكتاب ، ليس إلا قبسات من نور حقيقة ما لمسه هؤلاء العلماء والمفكرين من عظمة هذا الدين القويم ، دين الله الذي ارتضاه للناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور .

لم يكن الهدف من وراء ذلك ، الدعاية لهذا الدين ، فالإسلام دين الله ـ عز وجل ـ غير محتاج إلى من يزكيه أو يشهد له بالحق .

إنما هي تَذكِرة . . . لمن ﴿ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[١] ، ففي معرفة الإسلام المعرفة الحق وفهم القرآن الفهم العلمي الصحيح[٢] ، إجابة على كل سؤال أو تساؤل قد يتعرض له المرء في صراعه الدائم للوصول إلىٰ الحق والحقيقة .

ما جاء على لسان هؤلاء العلماء والمفكرين كان بمثابة شهادة حق لا يمكن أن نعزوها إلى عاطفة سطحية أو منفعة ، بل إن ذلك قد جرّ بعضهم إلى حرب طويلة وأذىٰ .

ففي شهاداتهم رداً واضحاً وصريحاً على ما يتعرض له الإسلام من محاولات التشويه والافتراء من قِبل أعداء هذا الدين ، ظناً بأنهم يستطيعون إضعافه من الداخل أو وقف انتشاره والحد من إقبال الناس عليه ، ولكن ـ بفضل الله ـ لم يزد ذلك الإسلام إلىٰ قوة وانتشاراً وتفوقاً كلما مرت الأزمنة والأيام ، وهذا شأن الحق كلما زادوا بحثاً وتحقيقاً ازداد ظهوراً خلاف الباطل .

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٣] .

---

(١) سورة ق ـ الآية : ٣٧ .

(٢) قد يلاحظ القارىء بأنني أكثرت من ذكر الآيات القرآنية في الكتاب، فذلك ليعلم أن في القرآن الكريم ـ كما قال سبحانه وتعالى ـ ﴿ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى ﴾ سورة النحل ـ الآية : ٨٩ .

(٣) سورة الزمر ـ الآية : ٦٧ .

ـ العالم (أرنولد توينبي) في كتابه « الحضارة والغرب » يقول : « إن الحضارة الغربية تمر الآن في طور الانحلال والتدهور ، وأن فنون الصناعة والاقتصاد وغيرهما من المعارف علوم غير كافية لتوفير أسباب الاستقرار » .

الباحث (دزمون ستيورات) في كتابه (تاريخ الشرق الأوسط الحديث) يقول : « إن الإسلام يستطيع دون مدافع حديثة أو خطوط برق أن يكون في القرن العشرين قوة لا تقاوم كما كان في القرن السابع » .

ـ الكاتب البريطاني الشهير (جورج برناردشو) يقول : « لما قرأت دين محمد أحسست أنه دين عظيم ، وسيتعرف عليه العالم بلا تعصب ، وتمنيت دائماً أن يكون الإسلام هو سبيل العالم فلا منقذ له سوى رسالة الإسلام ، ولقد وضعت دين محمد موضع الاعتبار السامي بسبب حيوته ، فهو الدين الوحيد الذي يلوح لي بأنه صالح لأطوار الحياة المختلفة بحيث يستطيع أن يكون جذاباً لكل جيل ، وقد بدا مقبولاً لدى أوربا اليوم . . أرجو أن تفهموا نبوءتي ، فالإسلام قادم ليصبح العالم به في حب وسلام ، فقد دخل وما يزال يدخل الإسلام كثرة هائلة من بني قومي ومن الأقوام الأخرى » .

هذا ما جعل بعض قادة الغرب ، وأفراده ، اعتبار الإسلام تهديداً يجب القضاء عليه ، فنشأ هذا الحقد على الإسلام وأهله ، إذ لماذا لم تحارب البوذية أو الهندوسية مثلاً ، لقد قام هؤلاء بإرسال البعثات والإفراد إلى الشرق ليدرسوا هذا الدين بغية إيجاد ثغرات يستطيعون من خلالها أن يحاربونا بها ، وليهون في نفوس الناشئة ترك دينهم . . ولكن ما الذي جرى ، لقد تعرف هؤلاء على الإسلام والقرآن ولمسوا عظمتهما وظهر لهم أنه الحق ، فتعلقوا بهما ودافعوا عنهما ، وهذا ما حصل لبعض المستشرقين من هؤلاء .

في مقالة للعلامة المشهور (ميكلا أغناطيوس) : « لا شك أن الإسلام سوف يكون نهاية المطاف لكل طالبي الحقيقة في هذا العالم » .

﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[1] .

---

(١) سورة الرعد ـ الآية : ١٧ .

في أحد المؤتمرات الإسلامية ، وجه سؤالاً لأحد المفكرين والفلاسفة العرب وهو الدكتور رشدي فكار : « أين تقف حضارة الإسلام من العالم » ؟ أجاب بحديث طويل هذا جزء منه :

« من الخطأ الخلط بين الإسلام والمسلمين ، فالإسلام ليس له قضية ولا يعاني من مشلكة ، الإسلام بخير على الرغم من كل العوائق وكل الدسائس والاستنزافات ، الإسلام يتجه لقمم العقول فيغزوها بهدوء وسكينة ومباشرة وبقناعة كما يتجه إلى قلوب البسطاء ، وهذا من معجزاته ، فلا فضل في تقدم الإسلام لأحد لأنه يتقدم بذاته وبما يحوي من مضمون حضاري راقٍ ، يتقدم بفضل الله تعالى ، رغم ما يعيشه المسلمون من إعاقات كثيرة في القرن العشرين ، لذلك هم المشكلة وهم القضية ، ولكن ما ترونه هو أزمة جيل لا أزمة مصير وأزمة نخبة لا أزمة أمة والأجيال القادمة ستكون بخير وسيكون للإسلام إشراقته العظيمة على العالم وسبيلنا إلىٰ ذلك هو الإسلام ذاته واستخدام العقل الذي سيضيء لنا الطريق » .

لله الحمد . . أن أتممت كتابي المتواضع هذا ، راجياً ـ سبحانه ـ أن يدخلني برحمته في عباده الصالحين ، وأن يجعله حجة لي لا حجة عليَّ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتاه بقلب سليم .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الأحاديث الشريفة .
- أشعة خاصة من نور الإسلام/ المستشرق الفرنسي « ناصر الدين دينيه » .
- الدكتور روبرت كرين/ في حوار له مع الدكتور يحيى العريضي .
- روجيه غارودي/ نصف قرن من البحث عن الحقيقة .
- الإنسان في القرآن الكريم/ عباس محمود العقاد .
- الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله/ الشيخ محمد متولي الشعراوي .
- جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة ـ القاهرة .
- لِمَ أسلم هؤلاء ؟/ محمد عثمان عثمان .
- تقارير لعلماء بكلية العلوم بجامعة الملك عبد العزيز بجدة والرياض .
- الإعجاز العلمي في القرآن ـ تأصيل فكري وتاريخ ومنهج / سامي الموصلي .
- الله يتجلىٰ في عصر العلم ـ تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين/ جون كلوڤر مونسما .
- من مقررات ومشاهدات وكالة الفضاء الأمريكية NASA .
- الموسوعة الأمريكية الجديدة .
- تأثرات ومباحث/ هنري ديكاستري .
- العلم طريق الإيمان / الشيخ عبد المجيد الزنداني .
- من آيات الإعجاز العلمي في القرآن/ الدكتور زغلول النجار .
- كتب المعرفة « البحار والمحيطات » / للناشر « ترادكيم » جنيف
- دراسة الكتب السماوية في ضوء المعارف الحديثة/ د. موريس بوكاي .
- مطابقة علم الأجنة لما ورد في القرآن والسنة/ د. كيث. ل. مور .
- « مجلة العلم » تصدرها أكاديمية البحث العلمي/ مصر .
- الموسوعة البريطانية .
- الشبكة العالمية (الانترنت) .
- إعجازات حديثة في القرآن/ الدكتور رفيق أبو السعود .
- اسطوانات (C.D) مسجلة صوت وصورة لعلماء في مؤتمرات الإعجاز العلمي .
- جريدة القبس الكويتية .
- مجلة نور الإسلام البيروتية .

الفهرس

الموضوع	الصفحة